البراوي

المكتبة الإسلامية

297.09
B26kA

الكتلة الإسلامية

بقلم
دكتور راشد البراوى

الطبعة الأولى
١٩٥٢

ملتزمة النشر والطبع
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى باشا - القاهرة

Cat. 23 Nov. '53

الإهداء

إلى الذين لا يتخذون من الدين بضاعة يتجرون فيها ؛
وإلى الذين لا تعميهم الأضواء اللامعة والشعارات الخلابة
عن رؤية الحقائق ، أقدم هـذا المقال المتواضع ؟

أول عمل من نوعه فى المكتبة العربية :

مجموعة الوثائق السياسية

الجزء الأول

المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس

جمعها وقدم لها وعلق عليها

دكتور راشد البراوى

٥٠ وثيقة بنصها الكامل ، تنشر لأول مرة فى سفر واحد ،
مع تحليلها تحليلا علمياً

الثمن ٣٥ ص

قريبا

الجزء الثانى

العالم العربى

الى خدمة الثقافة الاقتصادية والسياسية :

للدكتور راشد البراوى

	ص
الدولة والنظم الاقتصادية فى الشرق الأوسط	٤٥
الطريق إلى السلام	٤٠
النظام الاشتراكى	٢٥
مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط	١٠
(بالانجليزية Egypt, Britain and the Sudan)	٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تفضلت اللجنة الثقافية بجمعية الشبان المسيحية فدعتنى كعادتها فى كل عام إلى إلقاء محاضرة ، وأبت الا أن تظل حريصة على تقاليدها معى ، فتركت لى بالرغم من شديد اعتراضى ، حرية اختيار الموضوع الذى أتحدث فيه . وهنا كانت المشكلة التى واجهتنى ، ذاك أنى أعتقد أن المحاضرة العامة يجب أن تتصل بالحيـــاة أو بالظروف القائمة ، وبذلك تكون أمثال هذه المحاضرات وسيلة لتنوير الأذهان ، وتبادل الآراء ووجهات النظر .

ولم تطل بى الحيرة كثيراً ، ذلك أن الصحف نشطت فجأة إلى ترديد موضوع إنشاء ما أطلق عليه اسم الكتلة أو الجامعة الاسلامية ، ثم دخلت الدعوة فى نطاق شبه رسمى أثر التصريحات التى أدلى بها السيد ظفر الله خان خلال الأسبوع الأخير من فبراير الماضى ، أثناء مؤتمر صحفى عقده فى القاهرة . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل وجهت بالفعل دعوة من جانب الحكومة الباكستانية إلى الحكومات الاسلامية الأخرى ، لحضور مؤتمر فى كراتشى كان قد حدد له اليوم الثامن عشر من إبريل عام ١٩٥٢ .

وأخذ الموضوع يشغل الأذهان ويثير التساؤل ، بل صار حديث الساعة كما يقولون ، ومن هنا ، وتمشيا مع نظرتى إلى الهدف من المحاضرات العامة ، ألفيت فى « الكتلة الاسلامية » المقترحة مادة جديرة بالاعتبار ، ورأيت لزاما على كل امرىء أن يبدى رأيه ، سواء كان الرأى لهذه الفكرة أو عليها . وليس من خطر أو حرج أن تتباين الآراء ، بل إن المصلحة العامة تقتضى هذا حتى يتسنى الوصول إلى الحقائق النسبية للأشياء .

وما أن ألقيت المحاضرة حتى تفضل الكثيرون ممن سمعوا بأمرها ولم تتح لهم فرصة الاستماع إليها ، فطلبوا إلىّ أن أنشرها ، كما شاركهم ذلك الفضلاء من الذين سعدت بلقائهم فى المحاضرة . وكان من الطبيعى أن أنزل على هذه الارادة ، فأقدمت على طبع المحاضرة ، وها أنذا أقدمها ، مؤمنا بأنى إنما أؤدى بعض الواجب ، كما يفعل غيرى ، إذ أتناول بعض جوانب المسائل العامة بالدرس والتحليل ، والله سبحانه تعالى نسأل أن يوفقنا جميعاً إلى الاضطلاع بنصيب من العمل من أجل الخير العام .

راشد البراوي

كلية التجارة
جامعة فؤاد الأول
٣٠ أبريل ١٩٥٢

(١)

العرض التاريخي

طريقة البحث :

ما من شك أن كل فرد مؤمن بالانسانية ووحدتها ، وحريص على قيام السلام العالمى ، يرحب ويؤيد كل ألوان التعاون الحقيق بين الشعوب ، فى ميادين الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، حتى تجتث أسباب المنازعات وتنتفى بواعث الحروب . ولا ريب كذلك أن الاسلام ، كغيره من الديانات الكبرى التى تقدمته من ناحية الزمن ، يدعو إلى التعاون والتكافل والتعاضد ، كما أن من مبادئه التسامح الذى هو الدعامة الرئيسية للتعاون والأمن والسلام ، سواء فى المجال القومى أو فى الميدان الدولى ، والتسامح ينكر التعصب أيا كان مصدره أو طابعه ، إذ هما نقيضان متعارضان :

ولهذا فنحن إذ نتناول ، بالقدر الذى يسعفنا به البحث والجهد ، الموضوع الذى يتردد تحت أسماء الجامعة الاسلامية أو الكتلة الاسلامية أو رابطة الشعوب الاسلامية يتعين علينا أن نعالج الأمر

على ضوء الايمان بأن التعاون هدف تنشده البشرية جمعاء وأن هذه الدعوات جميعاً خالية — أو ينبغي أن تكون خالية — من أية نزعة إلى التعصب الديني ، الذي يشهد تاريخ الدول الاسلامية بوجه عام أنه لم يلعب في حياتها وسياستها الداخلية والخارجية دوراً له أدنى القدر من الأهمية . ولكننا إذ نعرض إلى الموضوع ، إنما نضع نصب أعيننا هذه الأسئلة الجوهرية ، وعلى ضوء الاجابة الموضوعية عليها نستطيع دراسة الأمر كما ينبغي :

هل تتوافر المقدمات الأولية والمقومات الأساسية الموضوعية لكي تقوم جامعة أو كتلة بالمعنى السليم لتضم البلاد الاسلامية جميعا ؟

وهل الظروف القائمة ، من داخلية ودولية ، في هذه البلاد ملائمة أو صالحة ، بحيث يكون تحقيق الفكرة عمليا وممكنا ؟

وهل هذه الكتلة إذا ما أتيح لها أن تتكون اليوم أو في المستقبل القريب ، تنطوي على الامكانيات اللازمة التي تجعل منها قوة فعالة من أجل تحقيق الأهداف الكبرى للعالم الاسلامي ، وهي التحرر الكامل من شتى أنواع التسلط الخارجي ، السافر منه والمستتر ؟

وهل تستطيع أن تكون تنظيما ذا كيان له شخصيته وذاتيه ، أم تتحول إلى أداة تابعة يساء استخدامها مما يعود بالضرر على بلاد العالم الاسلامي ؟

وأهم من هذا ، لماذا نشطت الدعوة في هذه الأيام بالذات والتي فيها لبعض البلاد الاسلامية مثل مصر والعراق ، نزاع مع بريطانيا

مثلا ، وبعبارة أخرى . هل تكمن وراء الحماس الحالى أيدى خفية أو أهداف خفية نوعا؟

هذه وأمثالها مما تنطوى عليه تلك الأسئلة ، هى الاعتبارات التى ينبغى لنا جميعها أن نجعلها فى المقام الأول من تفكيرنا ونحن ندرس الأمر من الناحية العلمية أو الموضوعية أولا ، ومن الناحية التى تتصل بالمصلحة الحقيقية للشعوب الاسلامية ثانيا . وقبل أن نحلل الأمر نرى من الأوفق أن نعود إلى الوراء قليلا أى إلى التاريخ حتى تكون السلسلة متصلة الحلقات وحتى لا يكون الماضى مرآة ينعكس المستقبل عليها .

الأديان الكبرى :

إن الأديان الكبرى ، ومنها الاسلام ، تمثل فى للعصور التى تظهر خلالها مرحلة الانتقال من نظام اجتماعى سائد قد اعتراه الضعف والانحلال ، وفقد عناصر الصلاحية ، وانتفت منه القدرة على إشباع حاجيات المجتمعات البشرية إلى نظام أرقى درجة وأدنى إلى ارضاء مطالب الجماعة(١) ، وهذا يفسر لنا نجاح الأديان فى الانتشار ، دون أن يحمل أصحاب الرسالات سيفا أو تكون وراءهم قوة مادية أو

---

(١) حين ظهرت المسيحية داعية إلى المساواة كان المجتمع الرومانى قد أخذ يسير فى طريق ازالة نظام العبودية Slavery بعد أن ثبت أن بقاءه لم يعد أداة للتقدم .

عسكرية . فالسر فى انتشارها أنها تسبغ طابع الاستقرار على التنظيم الجديد الذى تبدو نواته أو بوادره ، فهى لا تلتفت إلى الوراء بمعنى أنها لا تعمل على اعادة أو بقاء ما ساد قبلها من نظم متباينة تتصل بحياة المجتمع ، ولكنها تنظر دائما إلى الأمام - إلى تنظيم اجتماعى جديد.

حقيقة نجد الجانب الروحى فى الأديان السماوية هو الذى له الغلبة أو هو الطابع البارز الذى يستأثر بالنظر ، ولكن الأديان فى الوقت ذاته تشتمل على قواعد ومبادىء ، ولو من حيث الخطوط الأولية العامة ، وهى قواعد ومبادىء تمس الحياة الزمنية للجماعة فى ميادين الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، أما التفاصيل المتعلقة بالتطبيق من عصر إلى عصر فإنما هى متمشية مع درجة التطور ولهذا حدث النبى أنصاره أن تحقيق مايتصل بأمور دنياهم أمر يتعلق بهم وهم المسئولون عنه، أى عن طريقة التطبيق، وهذا مايلقى ضوءاً واضحا على الجانب التطورى، من الاسلام(١) . وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نتفهم السبب الذى من أجله انتشرت دعوة الاسلام إثر ظهوره ، فى رقعة واسعة وفى فترة زمنية قصيرة ، واستطاع المسلمون النازحون من قلب شبه الجزيرة العربية أن يخلفوا أينما حلوا أثراً قوياً شاملا ، ذلك هو الدين الجديد ، فضلا عن لغتهم العربية فى كثير من البلدان التى بلغوها ،

(١) من ذلك أن الاسلام تضمن مثلا مبدأ الشورى وهو جوهر النظام الديموقراطى ولكنه لم يتعرض لطريقة التطبيق أو التنفيذ ، لأن هذه تكون متفقة مع روح العصر ودرجة تطور الجماعة .

ولو بعد حين . لقد كان الاسلام ، كأى دين سماوى آخر ، حركة تقدمية فى حياة الجنس البشرى أى فى قصة التطور الانسانى

عصر الخلافة الاسلامية :

قامت الخلافة الأولى فى عصر الراشدين الأربعة ، وسرعان ما خلفتها الدولة الأموية لتحكم الاقطار الاسلامية من دمشق ، ثم أعقبتها الدولة العباسية لتمارس السلطان والسيادة من بغداد . حقيقة كانت هناك رابطة قوية بين تلك الأقطار المترامية ، وهى الدين ، وتدعمها صلة أخرى هى نظام الحج الذى يتلاقى فى موسمه وفى مكان واحد المسلمون على اختلاف عناصرهم ولغاتهم ونزعاتهم ، ذلك فضلا عن اللغة العربية التى سادت رقعة واسعة من مناطق الخلافة الاسلامية ، ولكن هل توافرت للخلافتين الأموية والعباسية ، وللأخيرة منهما على وجه الخصوص ، عناصر الدوام ؟ لقد تعرضت الخلافة الأموية لانتقاضات من جانب فرق عدة ، ومن ناحية الأقاليم غير العربية الجنس ، ولم ينقض وقت قصير نسبيا على قيام العباسيين بالأمر حتى بانت واضحة عوامل التفكك . ولسنا ننكر ، بعد انقضاء العصر العباسى الأول ، أثر العناصر الدخيلة التى أفسدت جهاز الحكم ، ولكنه أثر اقتصر على مجرد الاسراع بعملية الانحـــلال ، ذلك أن الولايات والامارات النائية أو البعيدة عن قاعدة الحكم ، بالرغم من ولائها للخليفة الذى كان يمثل فكرة أو ناحية روحية لا كان ولاؤها السياسى

يتضائل بل ويزول فى كثير من الحالات ، كما يشهد بذلك تاريخ مصر وشمالى إفريقية مثلا .

ثم قامت الدولة العثمانية وبسطت سلطانها على العالم الاسلامى إلى جانب مناطق واسعة من أوربا المسيحية ، ولكن لم تلبث عوامل الانحلال أن دبت فى كيانها ، وأخذت تسير قدما وباطراد فى طريق الهزال والانحلال حتى أصبح يطلق عليها عبارة « الرجل المريض » . وإذا نظرنا إلى حالة أوروبا المسيحية خلال العصور الوسطى ألفينا البابا يبسط عليها سلطانه الروحى القوى ، كما تمثلت الوحدة الزمنية فى عصر شارلمان ، ثم بالنسبة إلى مساحة كبيرة منها خلال عصر الامبراطورية الرومانية المقدسة ، إلا أن الأمر لم يستمر على هذا المنوال ، فأخذت كلمة القومية تعلو حتى أصبحت من السمات الرئيسية للتطور الأوروبى فى العصر الحديث .

الدعوة إلى الجامعة الاسلامية :

واشتدت أزمة الشرق عامة وازداد الركود فى العالم الإسلامى ، وهو ركود شمل الأوضاع والأحوال الداخلية من اقتصادية واجتماعية ، كما أصابه الضعف فى المجال الدولى ، وذلك كلما أسرع القرن الثامن عشر الخطى . وهنا ظهرت الوهابية من قلب شبه الجزيرة العربية ، تدعو إلى إعادة البناء الاجتماعى بالعودة ما إلى كان عليه

الحال فى العصور الإسلامية الأولى . ولكن الأهمية الكبرى لتلك الدعوة كانت فى جانبها الدولى إذ كانت تهدف حقيقة إلى عودة الامبراطورية أو الجامعة الإسلامية القديمة على أن يغلب عليها العنصر العربى . وتمخضت الوهابية عن حركة مماثلة من حيث الغايات ، ألا وهى السنوسية التى وإن لم تحاول الظهور بمظهر التعارض السافر مع الخلافة العثمانية ، فان مثلها الأعلى كان توحيد البلاد الإسلامية بعد تطهير مجتمعاتها مما ران عليها من الجمود وانساب إليها من النقائص والبدع ، التى لا تمت إلى جوهر الدين بسبب .

واشتدت أزمة المجتمع الشرقى حدة وعمقا ، وبخاصة من حيث موقفه من الغرب ، فلم ينتصف القرن التاسع عشر حتى كانت فرنسا قد أكملت سيطرتها على الجزائر ورنت بأبصارها إلى تونس ومراكش ، وتسلط الروس على الجماعات الإسلامية فى إقليم القوقاز ، وأتم الانجليز أو كادوا استعمارهم لشبه القارة الهندية بهندوكيها ومسلميها ، وشعرت أفغانستان وإيران بضغط يهددهما من ناحية الانجليز والروس .

هنا وقر فى أذهان المفكرين الإسلاميين أن عالمهم يتعرض لخطر جدى وهو السقوط نهائيا تحت النير الغربى ، وبدأ الحديث يتردد عن الحاجة إلى رابطة إسلامية كأداة المقاومة ووسيلة للنجاة . واتسمت الفكرة فى ذلك الحين بروح من العداء للغرب والنفور من كل ما هو غربى ، وهذا أمر له ما يبرره إذ لم يكن الغرب يمثل

سوى الخطر القائم أو الوشيك الوقوع . وحدثت حركات من المقاومة فى أكثر من مكان . فنشبت ثورة فى الجزائر ، وهب المسلمون فى الصين ، وقام المهديون فى السودان ، وكثر الزعماء والقادة ممن يدعى كل منهم أنه « المهدى » المنتظر لتخليص العالم الإسلامى وتحريره وتوحيده . ونظرية « المهدية » ترجع إلى أقدم العصور ، عرفها بنو إسرائيل ، واعتنقها المسيحيون فيما بعد ، وانتقلت إلى بعض الفكر الإسلامى . وكان ظهورها فى مجتمع يقترن عادة بسوء الأحوال فيه وتطلع الناس إلى عصر جديد ، فالمهدى المنتظر إذن ما هو إلا الزعيم أو رجل الساعة الذى يرجو الناس أن يتمخض عنه التطور .

غير أن الدعوات التى شهدها المجتمع الإسلامى من هذا القبيل فى القرن التاسع عشر قد أخفقت ، لا لكونها متفرقة من حيث المكان والزمان فحسب ، ولكن لأنها كانت تنطوى على قصور ذاتى ، ذلك هو تجاهلها روح العصر ، أو بعبارة أخرى محاولتها إغفال ثمار التقدم الذى حققته الانسانية على مر الزمان ، وهنا نلمس الفارق الكبير الجوهرى بينها وبين العالم الانسانى والمفكر الاسلامى جمال الدين الأفغانى الذى يعتبر من أكبر الدعاة إلى فكرة الجامعة الاسلامية فى صورتها المستنيرة .

تلفت الأفغانى حوله فرأى أن العالم أو المجتمع الاسلامى الشرقى يشكو من الجهل والفقر والمرض والانقسام الداخلى وفساد نظم

الحكم وعجز رجال الدين عن الاضطلاع برسالتهم الحقيقية ، وأدرك كذلك أن العاطفة الدينية قوة يمكن الافادة منها فى قضايا التطهير والتحرير ، وكان يعلم أن الاسلام ينطوى على المبادىء العامة للاصلاح مما يتفق مع العصر . كان الرجل يؤمن بالتطور الاجتماعى ، وأن التطور من أسس الاسلام ، وإذن — على حد قوله — « ما معنى باب الاجتهاد مسدود ، وبأى نص سد ، أو أى أمام قال لا يصح من بعدى أن يجتهد أحد » .

ونظر حوله فاذا الخطر الكامن والقائم آت من ناحية الغرب ، ولكنه أيقن حقيقة لها أهميتها ، وهى أن قوة هذا الأخير تنحصر فى أنه قطع شوطا بعيدا فى طريق التقدم والارتقاء بالنسبة إلى الشرق ، وعنده — كما قال — « أن الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية ، فان كان ظاهره المخالفة وجب تأويله(١) » . وإذن ليس أمام المجتمع الشرقى إلا أن يقتبس ويطبق مقومات التقدم الغربى ، فى الاقتصاد والاجتماع ونظم الحكم [في الدعوة الفوضى خلط .. اما الخطوط العريضة فهى القرآن والسنة]

هذه النظرة الواسعة الآفاق هى التى لها الأهمية ، فاذا أردنا أن نحارب الغرب فلنلجأ إلى أسلحته ذاته : العلم فى كل ناحية ، أما أن

---

(١) أى ينبغى التفسير على ضوء الظروف والأوضاع ، وهذا هو الجانب « التطورى » فى الإسلام ، وهذا هو أساس « الاجتهاد » وهو ماتادى به تلامذة جمال الدين الأفغانى من أمثال الأستاذ الإمام محمد عبده .

تتجاهل ذلك فهذا ما يسعى إليه الغرب لكى تظل الأمم الشرقية تحت سلطانه ، وهذه الحقيقة أدركتها فى القرن التاسع عشر دول مثل اليابان . إن قيمة الأفغانى والمستنيرين من أمثاله أنهم لم ينظروا إلى الوراء . لقد رأوا الحضارة قطعت مراحل واسعة ، وإذن ففى الحياة المدنية يجب الافادة من ثمار هذه الحضارة .

وهنا ظاهرة يحسن أن نلفت إليها النظر لأنها جديرة بالتأمل فالدول الأوروبية هى التى بذلت أكبر الجهود العلمية من أجل إحياء التراث الشرقى القديم ، وفى تمجيد الحضارة الشرقية القديمة . وقد ترجع هذه الجهود إلى العناية بالعلوم والأبحاث والدراسات ، ولكن هناك أغراضا أخرى وهى أن تستقر هذه الفكرة فى أذهان أهل الشرق فيقولون : خير لنا أن نعود إلى ماضينا كما كان . وهذا الماضى يختلف عن الحاضر ، فاذا آمن الشرقيون بهذا ونفروا من الحضارة الغربية بمعناها الصحيح فقد ران عليهم الركود والانحلال . إن من المستحيل ، كوسيلة للتقدم ، أن نحاول تطبيق نظم اقتصادية وسياسية فى القرن الحاضر وكانت لها قيمتها منذ قرون خلت ، لأن الاعتقاد بامكانية ذلك معناه أن نفترض فى المجتمع الانسانى السكون بينما جوهره الحركة . قد يقول البعض ، ولكن الغرب قد استفاد من الحضارات القديمة ومنها الحضارة الشرقية ، وهذا قول صحيح . ولكن الغربيين لم يقفوا عند حد ما اقتبسوه وإنما اتخذوا منه أساسا ليشيدوا عليه صروحا جديدة ، وبذلك تفوقوا على الأمم الشرقية .

ومن الأمور التى تستهوى البعض مايقال من أن حضارة الشرق روحية بينما مثيلتها بالغرب مادية ، وهذه التفرقة التى يحاول الغربيون ، أو البعض من كتابهم ، تاكيدها غير سليمة ، لأن لكل حضارة نشات منذ أقدم العصور جانباها الروحى والمادى والنوع الأخير هو الذى يكفل للناس أمور دنياهم ويهىء لهم سبيل العيش(١).

ويحسن هنا أن نوضح ما نرمى إليه حين ندعو إلى الأخذ بمظاهر الحياة الغربية أو إلى الإتجاه صوب الغرب . إننا نقصد فى الواقع العلوم الطبيعية على اختلافها ، والفن الزراعى الحديث ، وأساليب الصناعة ، ووسائط النقل والنظم الصالحة فى مسائل الحكم والإدارة والمالية والتعليم ، وشئون الحرب . وإذ يتدبر المسلمون قول رسولهم « أطلبوا العلم ولو فى الصين » يدركون كيف ضرب لهم المثل الذى ينبغى أن يحتذى ، ولا ريب أن المراد بالعلم فى هذا المعنى كل ما يؤدى إلى ترقية حياة الناس وتوفير أسباب الرخاء والرفاهية عن طريق استغلال مواردهم وثرواتهم .

قلنا إن جمال الدين الأفغانى كان يطلب إلى كل مجتمع إسلامى

---

(١) إن الإسلام يشتمل على ركنين أساسيين هما العبادات والمعاملات ، والأول يمثل الناحية الروحية من حياة المجتمعات ، والثانى يتصل بالجانب الزمنى أى الأوضاع التى تنظم حياتهم المدنية ، وفى أوروبا المسيحية نجد الأمرين كذلك ، ومن هنا يبدو خطأ القول بأن حضارة ما روحية صرفة والأخرى مادية بحتة .

قومى أن يطهر نفسه من المتناقضات والنقائص ، وأن يأخذ بأسباب الارتقاء ، ولكنه كان فى الوقت ذاته يرى ضرورة التعاون بين هذه المجتمعات لمقاومة الضغط الأجنبى والتخلص من النير الاستعمارى وهكذا أصبح ينظر إليه على أنه أكبر داعية فى القرن التاسع عشر إلى فكرة الجامعة الاسلامية . ولكن ، كيف كان يريدها الأفغانى ؟ لقد كانت غايته قيام جامعة من بلدان قد ارتقت وتحررت ، لأنها فى مثل هذه الحالة تستطيع أن تؤدى رسالتها من أجل الخير العام لأعضائها.

وكان لدعوة الرجل التقدمية والتحريرية صداها ، وأراد السلطان عبد الحميد الثانى أن يستغلها لدعم سلطانه وتقوية مركز الدولة العثمانية إزاء الدول الأوربية ، فهو لم ينظر إلى الفكرة كهدف فى حد ذاته ، ولكنه رأى فيها وسيلة لغاية . ومال العرب إلى الفكرة وأيدوا الدولة على أن تحقق لهم أهدافا كانوا يسعون إليها . وأكثر من هذا لقد توقعوا أن تعترف لهم الثورة التركية التى نشبت عام ١٩٠٨ بقدر كاف من الاستقلال المحلى أو الشخصية الذاتية ، ولكن سرعان ما خابت آمالهم أذ وضح أن رجال الثورة كانت تملك عليهم نفوسهم فكرة الجامعة الطورانية وكانوا يعملون على تغليب العنصر التركى فى الدولة . ومن هنا بدأت القومية العربية تنمو تدريجا ، وأخذت فكرة الجامعة الاسلامية فى التضاؤل والانزواء ، وزاد ضعف الفكرة الجامعة حين قام العرب بثورتهم الكبرى فى الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية ، وجاء الغاء الخلافة على يد الكماليين ضربة لفكرة

الرابطة أو الجامعة الاسلامية ، كما شهدت الفترة بين الحربين العالميتين نشاط القومية فى البلاد العربية ، حتى صارت هى التيار الذى له الغلبة .

هذا عرض موجز لفكرة الجامعة الاسلامية فى القرن التاسع عشر ، وإنها لتعيد إلى الذاكرة محاولات مماثلة أو دعوات مشابهة من جانب الأوربيين بعد أن مزقت وحدة أوروبا أو تخضبت أرضها بالدماء نتيجة الحروب الدينية والصراع القومى . فقد نادى سلى Sully وزير فرنسا على عهد الملك هنرى الرابع ، بتكوين جامعة تضم الشعوب المسيحية بالقارة الأوربية ويكون لها مجلس يبحث فى الخلافات التى قد يترتب عليها نشوب الحرب ، ومن ذلك أيضا المشروعات التى تحدث بها أمثال ويليم بن وسان بيير (١) .

ظهور الباكستان :

ظل الحال كذلك إلى أن ظهرت إلى الوجود دولة باكستان بعد انتقال السلطة إلى أيدى أهل شبه القارة (الهندية — الباكستانية) فى منتصف أغسطس من عام ١٩٤٧ ، وهنا عاد الحديث يتردد عن كتلة أو جامعة اسلامية ، ووجدت أنصاراً وهيئات يروجون لها وإن انبعث أعلى الأصوات من باكستان بصفة خاصة .

---

(١) راجع فى هذا الفصل الثالث من كتابنا (الطريق إلى السلام) صفحة ٢٨ ومابعدها

سارعت الدول الاسلامية إلى الاعتراف بزميلتها الناشئة ، وتبادل الطرفان التمثيل السياسى ثم قامت الأخيرة بالعمل على توثيق العلاقات عن طريق معاهدات الصداقة ، ومن ذلك المعاهدة المعقودة مع ايران فى ١٨ فبراير من سنة ١٩٥٠ ، ومع العراق فى ٢٦ فبراير من السنة ذاتها ، كما وقعت اتفاقا للطيران المدنى مع العراق (٢٠ يونية سنة ١٩٥٠) . وعملت كذلك على تنمية الروابط الثقافية ، كما كثرت الزيارات إلى البلاد الاسلامية من جانب أعضاء الوزارة الباكستانية ، فقام لياقت على خان بزيارة مصر وايران والعراق ، وزار السيد غلام محمد وزير المالية ، بلاد تركيا وسوريا ومصر ، وتوجه وزير الداخلية خوجا شهاب الدين على رأس بعثة إلى الحجاز خلال موسم الحج فى عام ١٩٤٩ حيث استقبله الملك عبد العزيز آل سعود . وفى الوقت نفسه دعت حكومة الباكستان جلالة شاه ايران دعوة رسمية لزيارتها ، تعزيزاً للروابط الاخوية بين الشعبين الاسلاميين وإنماء لروح المودة الموجودة بين الدولتين الشقيقتين » (١)

المؤتمرات الاقتصادية الاسلامية :

وخطت باكستان خطوة أخرى أكثر أهمية لأنها تتصل بالميدان

---

(١) مجلة البشير (العدد السابع من السنة الثانية ، أبريل — مايو سنة ١٩٥٠) ص ٢٨

الاقتصادى ، فدعت إلى مؤتمر اقتصادى إسلامى عقد بمدينة كراتشى فى ٤ نوفمبر ١٩٤٩ ، وافتتحه السيد لياقت على خان بقوله :

« الواقع أن الأهداف الرئيسية التى كانت تسعى اليها الرابطة الاسلامية والتى أدت إلى تأسيس باكستان ، توطيد عرى الروابط الأخوية بين مسلمى شبه القارة ومسلمى بقية أجزاء العالم الأخرى . وأهم ما يهدف اليه هذا المذهب هو جعل الأخوة الاسلامية حقيقة واقعة ، لذلك فإن من واجبات باكستان أن تبذل غاية مافى وسعها لتوطيد أواصر الصداقة والتعاون بين الدول الاسلامية ، وكثيراً ما أكد القائد الأعظم فى خطبه أن على المسلمين بعد تحقيق حرياتهم فى مختلف الدول الاسلامية أن يوحدوا صفوفهم ويتعاونوا متبادلين المشورة مع بعضهم بعضا » .

وتكلم السيد غلام محمد قائلا :

« بالاضافة إلى مايوجد بيننا من دين مشترك وشعور مشترك فى الحياة وطراز مشترك . . . فاننا نؤلف وحدة جغرافية أيضا فأكثر الأقطار الاسلامية مناطق متجاورة عدا إندونيسيا . . وهناك عامل ثالث من عوامل اشتراك المصالح بين هذه الشعوب ، ذلك هو طراز اقتصادياتها إذ أنها كلها ذات اقتصاديات زراعية لا تزال فى مرحلة الزراعة . وهناك عامل رابع نشترك فيه جميعا رغم أنه لا يبعث على الرضا ، ذلك هو أننا جميعا أمم متأخرة فاذا ماقورنا بالغرب الصناعى

نكون غير كفء له نسبيا ، كما أن مستوى معيشتنا منخفض إلى حد يؤسف له . والعامل الخامس ، وهو شر من العامل السابق ، هو أننا وأن كنا مستقلين نوعا سياسيا إلا أننا لا نزال من الناحية الاقتصادية فى قبضة الأمم الغربية القوية ولم يستطع بعضنا ، حتى بعد الحصول على الاستقلال التخلص من العبودية الاقتصادية » .

وشهد العام التالى انعقاد المؤتمر الاقتصادى الثانى فى مدينة طهران (عاصمة إيران) ووردت فى خطاب السيد غلام محمد العبارات الآتية « إن هذا المؤتمر الإسلامى من الأقطار الاسلامية ومن الشعوب المسلمة وهذه الصلة وحدها دليل على أن الاسلام هو الرابطة التى وحدت بين شعوب تختلف عنصريا عن بعضها » .

ومن التصريحات التى أوردناها نصل إلى النتائج التالية :

أولا — أن البلاد الإسلامية تكون (أو ينبغى أن يكون الأمر كذلك) وحدة جغرافية بينها رابطة الدين المشترك ، فضلا عن الصلات الناشئة عن تماثل الأوضاع الاقتصادية .

ثانيا — أن تحقيق الأخوة أو الوحدة الاسلامية من الأسس الجوهرية التى تقوم عليها السياسة الباكستانية ، ومن الغايات التى تعمل من أجلها .

ولكنا نعرف من أقوال وزير مالية الباكستان أموراً أخرى وهى :

١ — ضعف هذه البلدان اقتصاديا لأنها مازالت تعيش داخل الغشاء

الزراعى ولم تأخذ بعد بأسباب التطور الصناعى الحديث .

٢ — أن هـذه الأقطار ليست تامة الاستقلال والسيادة ، أو أن هذا الأمر يصدق على معظمها .

٣ — أنها جميعا مازالت راضخة تحت العبودية الاقتصادية .

مؤتمر العالم الاسلامي :

وفى شهر فبراير من عام ١٩٤٩ اجتمع مندوبو البلدان الاسلامية بكراتشى ، واتخذوا قراراً بتكوين « مؤتمر العالم الاسلامى » وهو مؤسسة ثقافية وغير رسمية ، وجعلوا مقرها فى العاصمة الباكستانية ولها فروع فى البلدان الاسلامية المختلفة . وهذا المؤتمر يهدف إلى اصلاح أمر المسلمين وجمع كلمتهم ورفع شأنهم وذلك بالوسائل الآتية(١) .

أولا — بيان مبادىء الاسلام الحقة كما وردت فى القرآن الكريم وسنة رسول الله بيانا دقيقا واضحا لكى يتسنى لهم فهمها على وجهها الأكمل والتزام أحكامها .

ثانيا — تحطيم قيود الوطنية العنصرية والنعرات القومية والضغائن الطائفية التى تولدت نتيجة لاختلاف الأوضاع الجغرافية والأحوال الإقليمية وتباين اللغات .

---

(١) البشير (العدد الحادى عشر من السنة الثالثة ، مايو ويونيو سنة ١٩٥١) ص ٢ — ٣

ثالثا — التعاون مع جميع البلدان الاسلامية بغية القضاء على جميع عوامل الشقاق والخلاف فى سياسة المسلمين ، تلك العوامل التى لاغرض لها سوى الحيلولة دون وحدة المسلمين .

وفى ٩ فبراير من عام ١٩٥١ عقد الاجتماع السنوى الثانى ، وخطب الحاج أمين الحسينى داعيا (إلى الوحدة الاسلامية وفقا لقوله تعالى « إن هذه أمتكم أمة واحدة » ، وإلى التكتل فى سبيل الذود عن الاسلام شعوبه وعقائده ومقدساته . . . وإلى الأخوة الاسلامية وفقا لقوله تعالى « إنما المؤمنون أخوة » ، فينبغى الدعوة إلى تعاون المسلمين فى كافة أمورهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية(١) » .

ونادى رئيس الوفد السورى(٢) بالتكتل إذ « أن من خير الانسانية أن نتكتل نحن المسلمين ، ستمائة مليون على وجه الأرض(٣) » .

واتخذت اللجنة السياسية طائفة من المقررات منها .

١ — يسعى المؤتمر لدى الدول والشعوب الاسلامية للتقريب بينها وإزالة الخلافات القائمة بينها بما يراه من الوسائل الممكنة .

٢ — بعد التحقق من وقوع اعتداء أجنبى على قطر إسلامى أو دولة

---

(١) المصدر السابق ص ١٧

(٢) شرحه ص ٥١

(٣) لاندرى من أين جاء بهذا الرقم

إسلامية فان المؤتمر يعتبر ذلك عدوانا على جميع الشعوب الاسلامية ، وهو يوصى حينئذ الشعوب والحكومات الاسلامية بالمبادرة إلى مساعدة القطر أو الدولة المعتدى عليها بكل الوسائل الممكنة لازالة العدوان ضمن مبادىء الأخوة الاسلامية وميثاق الأمم المتحدة .

٣ — (الاتحاد الاسلامى) بما أن المسلمين فى شتى أقطارهم وأمصارهم أمة واحدة وتتأثر إحداها بما يصيب الأخرى ، وبما أن البراهين قد قامت على أنه لاسبيل فى هـذا العصر للصمود لمشاكل الحياة بغير الاتحاد والتساند، فالمؤتمر يدعو الشعوب والدول الاسلامية كافة إلى الوحدة ومساعدة بعضها فى سبيل الدفاع عن الاسلام .

وعقد مؤتمر العالم الاسلامى فى اجتماعه الثانى جلسة خاصة بالسيدات وخطبت السيدة ماه منير مندوبة إيران ومما قالته «أنه لفرض لزام علينا ألا نألوا جهدا فى العمل على كل ما يهدف إلى تعزيز روابط الأخوة الاسلامية التى تضمن لنا التعاون سويا لضمان حقوقنا وحماية مصالحنا القومية ... وليست الأخوة الاسلامية اليوم إلا نتيجة للجهود والتضحيات التى بذلتها الأجيال السابقة وعلى هذا فان من واجبنا كمسلمين رجالا ونساء على السواء أن نحافظ على هذه الأخوة مهما كلفنا ذلك من مشاق وتضحيات » .

ومن هذه المقتطفات المتنوعة نخلص إلى النتائج التالية :

١ — أن المؤتمر الاسلامى يسعى إلى تنمية الأخوة الاسلامية وانشاء الاتحاد الاسلامى على أساس التعاون الاقتصادى والثقافى والاجتماعى والسياسى ، وعلى مبدأ الدفاع المشترك .

٢ — وأنه يهدف إلى إزالة الفوارق القومية تمهيدا لقيام الأمة الاسلامية المتجانسة .

ومهما قيل من أن المؤتمر هيئة غير رسمية وأنه يضم ممثلى الشعوب فالواضح من مقررات اللجنة السياسية التى ذكرناها أنه يعمل على قيام اتحاد من الدول الاسلامية ، سواء أكان على صورة جامعة الدول العربية أو النظام الأمريكى أو مجموعة البنلوكس او منظمة شمال الأطلنطى . وإذا كانت الحكومات لم تشترك فيه رسميا فليس معنى هذا إلا انه مقدمة لتمهيد الأذهان وإعداد الأفكار . ومامن شك ان الذين تتبعوا التطورات التى انتهت بقيام جامعة الدول العربية يعرفون كيف سبقت الانشاء ، خلال سنوات عدة ، مؤتمرات واجتماعات غير ذات صبغة رسمية ، وإنما كان يحضرها ممثلو الهيئات والجماعات غير الحكومية .

تصريحات ظفر الله خان في القاهرة[1] :

ودارت الأيام كعهدها لا تلوى على شىء ، فإذا ما حل شهر

---

(١) جريدة « المصرى » العدد الصادر فى ٢٨ سنة ١٩٥٢ .

أكتوبر من عام ١٩٥١ ، وقد بدا عقم المفاوضات بين مصر وبريطانيا العظمى ، أقدمت الدولة الأولى على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى عام ١٨٩٩ (اللتين سبق عقدهما بشأن السودان) ، بعد أن تغيرت الظروف التى وقعت أو فرضت فيها تلك الوثائق حتى صارت غير ذات موضوع ، أو فقدت — بعبارة أخرى — روح التوافق مع العصر .

ولم يمض وقت على هذا الإلغاء من جانب مصر ، إلى جانب رفضها المقترحات التى تقدمت بها دول المملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا بشأن إنشاء القيادة المتحالفة للدفاع عن الشرق الأوسط ، حتى فاضت الأنباء عن وساطات للتوفيق بين الطرفين أى بين وجهة نظر مصر القائمة على أساس الجلاء الشامل ووحدة وادى النيل ، ووجهة نظر الدولة البريطانية وزملائها المستندة إلى فكرة النظام الدفاعى المشترك ، وهى وساطات اضطلعت بها دول اسلامية ثلاث وهى باكستان والعراق والمملكة العربية السعودية ومنهما اثنتان من أعضاء جامعة الدول العربية ، كما أن الدول الثلاث من البلدان التى ستتكون منها الكتلة أو الرابطة الاسلامية أو الاتحاد الاسلامى ، ومع ذلك فإن مما يلفت النظر من ناحية مظاهر التعاون بين الشعوب المتماثلة فى أوضاعها وتراثها واهدافها ، أن هذه الدول الثلاث لم تعترف (حتى كتابة هذه السطور) باللقب الجديد الذى اتخذته مصر لرئيس الدولة الأعلى ، وهو لقب « ملك مصر والسودان »

وقيل تبريراً لموقف الدول الثلاث انها منذ قامت بالوساطة لم تشأ المبادرة إلى الاعتراف حتى تكون محاولتها التوفيق مشوبة بالحياد المطلق ، وهى حجة تعوزها القوة فالهند مثلا سبق لها ان اعترفت بحكومة الصين الشيوعية وابت الاشتراك فى حرب كوريا ، ولم يثنها ذلك كله عن الاشتراك فى محاولات عدة ، مع دول اخرى ، للتوفيق بين الجانبين المتنازعين فى كوريا . ولا ريب ان الاعتراف الرسمى بلقب « ملك مصر والسودان » يشتمل على معنى التأييد الأدبى او السياسى لحركة مصر القومية التى جوهرها مناهضة السياسة الاستعمارية .

وتحدثت الأنباء كذلك عن نشاط ومساع دبلوماسية قام بها السيد ظفر الله خان فى باريس أثناء دور الإنعقاد السادس للجمعية العامة من هيئة الأمم المتحدة ، فلما انقضت الدورة ، وفد سعادته إلى القاهرة ، وفى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٢ دعا إلى مؤتمر صحفى فى فندق سميراميس ، حيث أدلى بتصريحات متنوعة لها دلالتها وأهميتها وبخاصة لصدورها فى تلك الظروف ، فقال :

لقد قابلت فى جميع عواصم الدول الأربع(١) رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية وكبار الزعماء ، ووجدت أن وجهات نظرها فيما يختص بمستقبل الشرق الأوسط الذى تعتبر باكستان جزءاً منه ، سواء من الناحية الثقافية أو المثالية أو السياسية ، متفقة فى معظم النقاط

---

(١) يقصد أنقرة ودمشق وبيروت والقاهرة .

الرئيسية . . . وان أولئك الذين يعرفون سياسة باكستان ، والذين تتبعوا هذه السياسة منذ ان حصلت على استقلالها يدركون أن وحدة العالم الإسلامي هي أحد الأركان الرئيسية التي تقوم عليها عقيدتنا السياسية .

ثم تحدث عن الخطوات التي يراها ضرورية وكفيلة بتحقيق هذا الهدف فقال إنها : —

أولا — تعزيز الروابط بين الشعوب الاسلامية عن طريق معاهدات سياسية وتجارية .

ثانية — تحقيق وحدة الغاية والقصد والعمل .

ثالثا — إيجاد نظام استشاري مناسب لجميع المسائل التي تهم الشعوب الإسلامية جميعا سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو ثقافية .

وبعد ذلك تطرق الوزير الباكستاني إلى موضوع له أهميته فقال «إن مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط لا يمكن أن يكون كاملا إلا إذا انضمت البلاد الواقعة شرقي المنطقة بحيث يشمل باكستان وأفغانستان وايران والدول العربية وتركيا . . . ولا بد من تسوية الخلاف بين العرب واسرائيل قبل تنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط » .

ومن هذه التصريحات المتكاملة من حيث غايتها نحصل على النتائج الآتية : —

أولا — أن الوحدة الاسلامية أساس تقوم عليه السياسة الخارجية لدولة باكستان وهدف تسعى جاهدة إلى تحقيقه ، وهذا يتفق مع التصريحات المماثلة والبيانات الأخرى ، التي أشرنا إليها

من قبل على لسان الساسة الباكستانيين فى المؤتمرين الاقتصاديين الاسلاميين ، كما تتفق مع الأهداف التى وافق عليها المندوبون فى مؤتمر العالم الاسلامى ، ومع مقررات اللجنة السياسية للمؤتمر الأخير أثناء دور انعقاده الثانى بكراتشى عام ١٩٥٠.

ثانيا — والسبيل لقيام هذا الاتحاد أو الحلف الاسلامى يكون بعقد المعاهدات السياسية والتجارية ، وإنشاء هيئة استشارية (أو نظام استشارى) بصدد المسائل المشتركة بين الشعوب الاسلامية ، من سياسية أو اقتصادية أو ثقافية . ومن الطبيعى أن هذه المسائل السياسية تتضمن الشئون الدفاعية ، واذن نستطيع أن ندرك أن مايهدف إليه ساسة الباكستان هو اقامة حلف بين الدول أو البلاد الاسلامية لأغراض التعاون السياسى والعسكرى والاقتصادى والثقافى ، كما هو الحال بالنسبة إلى جامعة الدول العربية أو حلف شمال الأطلنطى . وحين نشير إلى الناحية « العسكرية » ، فان الاشارة تستند إلى حديث ظفر الله خان بشأن الدفاع عن الشرق الأوسط والدول التى يجب أن تشترك فى اقامة هذا التنظيم .

ثالثا — إن الوزير الباكستانى يوافق على مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط ، بأوسع المعانى التى يمثلها الاقليم ، بحيث يشمل باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا والدول العربية (ومعنى هذا استبعاد المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسى فى شمال

إفريقية لأنها لم تستكمل بعد مقومات الدول .

رابعا — وثمت شرط ضرورى لانشاء هذا النظام الدفاعى بحيث يكون عاما شاملا ، وذلك هو اشتراك دولة إسرائيل فيه ، ومن هنا يتعين تسوية الخلاف بينها وبين الدول العربية .

دعوة إلى مؤتمر .

هذا ما تدل عليه بصورة واضحة التصريحات التى أدلى بها السيد ظفر الله خان فى مؤتمره الصحفى ، وسنرجىء مناقشتها وتحليلها إلى موضع آخر . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن السعى بدأ بصفة رسمية من أجل انشاء أو البحث فى وسيلة انشاء النظام الاستشارى ، ولهذا أعلن السيد ظفر الله فى البرلمان الباكستانى(١) فى ٥ أبريل من عام ١٩٥٢ أن رؤساء وزارات مصر والعراق والمملكة العربية السعودية والأردن واليمن وسوريا وليبيا وافقوا على الاشتراك فى المؤتمر الذى اقترحته الباكستان لاقامة نظام لتبادل العلاقات بين الدول الاسلامية ، وأن الدعوة وجهت كذلك إلى افغانستان وايران ولبنان وتركيا وإندونيسيا . ولقد أذاع راديو كابول رفض أفغانستان ،

---

(١) جريدة الأهرام ، العدد الصادر فى ٦ أبريل سنة ١٩٥٢

وكذلك فعلت لبنان . وكان موعد المؤخر ١٨ أبريل ١٩٥٢ ولكن تقرر تأجيله .

الدعاية غير الرسمية :

ننتقل الآن إلى ماتحدث به الكتاب فى موضوع التكتل الاسلامى وهنا نعمد إلى كتاب « السلام العالمى والاسلام » لمؤلفه الأستاذ سيد قطب ، فبعد أن استعرض الكتل الدولية الكبرى القائمة اليوم وانتقد أهدافها تحدث عما ينبغى للأمة الاسلامية(١) أن تفعله فقال :

« والخطوة الثانية هى تكتل هذه الدويلات والدول تحت الراية الاسلامية تكتلها فى ميدان السياسة الدولية ، وفى المجال الاقتصادى ، وفى المجال الحربى سواء ، تكتلها على أساس أنها . أولا : تطلب الاستقلال والحرية كاملين لها ولأهلها جميعاً وأنها ستكون حربا على كل معتد على هذا الاستقلال . وأنها ثانيا : تقف ضد كل اعتداء وكل استعمار من أى نوع على ظهر هذه الأرض جميعاً . وهذه الكتلة

---

(٢) أن عبارة « الأمة الاسلامية » لها مغزاها ، فهو يرى أن الفوارق القومية والعنصرية واللغوية لا قيام لها ، وأن الأساس الوحيد هو المشاركة الدينية ، ولكن المعروف أن ثمت عوامل عدة لابد من توافرها فى تكوين الأمة .

المتجانسة هى التى تملك أن تحمل راية جديدة ، تمثل فكرة انسانية جديدة ، وتلوح بها للبشرية الضالة المعذبة الشقية المنكودة » .

ومن أكبر الدعاة كذلك شودري خليق الزمان رئيس حزب الرابطة الاسلامية السابق فهو صاحب فكرة « اسلامستان » أو الكتلة الاسلامية ، وإن كنا نعتقد أنه ليس بصاحبها وإنما هو من أكبر المروجين لها(١) . وفى جريدة « منبر الشرق » بالعدد ٦٨٦ الصادر فى ٢٥ مارس سنة ١٩٥٢ نقرأ العبارة التالية فى مقال بعنوان « التطور الاسلامى » :

تطورت أفكار مفكرى الشعوب الإسلامية فى البحث عن الوسائل التى يضمنون بها مصالح أبناء أوطانهم تبعا لما وصلت اليه فلسفة السياسة الدولية ، فوجدوا أنهم أقرب إلى عواصم الدول الاسلامية المجاورة منهم إلى عواصم الدول الأوربية والأمريكية ، وجدوا أن مصالح الإسلام والمسلمين وأوطانهم فى الهيئات الدولية التى اشتركوا فيها فى أخطاء مستمرة أو اهمال ملحوظ ، وأن العلاج الوحيد لأحوالهم ومايواجهونه من أخطار هو تكتل إقليمى أساسه العوامل المشتركة » .

وكتب الأستاذ « سيد قطب » يحدثنا عن نطاق هذه الكتلة

---

(١) يرى الرجل الغاء جامعة العربية لتحل محلها الدول الاسلامية كما يتصورها .

الإسلامية فقال إن « هذه الكتلة المتصلة الحدود من شواطئ الأطلنطي إلى شواطئ الباسفيكي والتي تضم مراكش وتونس والجزائر وليبيا ووادي النيل وسوريا ولبنان والعراق والأردن والجزيرة العربية واليمن وتركيا وايران وافغانستان وباكستان وإندنيسيا » .

هذا عرض موجز حاولنا فيه أن نلم بالفكرة وأهدافها وتطورانها بلسان دعاتها والمروجين لها ، وآن لنا الآن أن نتناول الموضوع بالتحليل .

(٢)

التحليل والتفسير

هل وحدة جغرافية ؟

حين تحدث السيد غلام محمد فى المؤتمر الاقتصادى الاسلامى ، وصف البلاد الاسلامية بأنها تكون « وحدة جغرافية » . وهنا نتساءل عن مدى دقة التعبير من الناحية العلمية . إن الاقليم الطبيعى تتماثل أجزاؤه من حيث الخصائص المناخية المتنوعة والنباتية وحرف السكان ، ومن هنا نتحدث عن الاقليم الاستوائى واقليم غرب أوروبا والاقليم الموسمى واقليم البحر المتوسط . فاذا ما نظرنا إلى البلاد الاسلامية على ضوء هذا التعريف للاقليم الطبيعى وجدنا أنفسنا أمام التقسيم الآتى :

١ — تنتمى إندونيسيا ، الواقعة فى الجنوب الشرقى من آسيا والتى تفصلها عن بقية العالم الاسلامى مسطحات مائية واسعة ، إلى الاقليم الاستوائى ، وهى تكاد أن تكون وحدة جغرافية قائمة بذاتها .

٢ — تنتمى باكستان إلى شبه القارة « الهندية ـ الباكستانية » ، وهذا البلد نفسه لا يمثل وحدة جغرافية أو إقليمية متماسكة ، ذلك أنه ينقسم إلى منطقتين إحداهما بالغرب فى حوض نهر السند . والثانية

بالشرق فى دلتا نهر السكنج ، وتفصل بينهما أراضى اتحاد الهند لمسافة طولها نحو من ألف ميل .

٣ — إن أفغانستان وإيران أقرب إلى اقليم وسط آسيا ، بل هما من أجزائه . وطبقا للتقسيم الاقليمى لدى الجغرافيين كان الشرق الأوسط بمعناه الصحيح يشمل هذين البلدين .

٤ — تدخل تركيا وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر فى نطاق الشرق الأدنى . وإذا جعلنا هذه البلدان من اقليم حوض البحر المتوسط أمكن فى هذه الحالة أن نضيف اليها بقية البلدان الاسلامية الواقعة على الساحل الشمالى للقارة الافريقية .

٥ — أما شبه الجزيرة العربية فانها ، أو أغلبيتها الساحقة ، تمثل اقليما جغرافيا أو طبيعيا قائما بذاته وهو الاقليم الصحراوى .

ومن هنا يتضح لنا أننا أمام خمسة أقاليم جغرافية متباينة ، ولسنا أمام اقليم جغرافى واحد . وإذا قيل إن هذه البلدان تمثل وحدة أرضية متصلة واقليما هو الشرق الأوسط ، كما يستدل من تصريحات السيد ظفر الله خان المشار اليها . فانه تطالعنا اعتبارات تنافى هذا التحديد كما نقرأ فى الفقرة التالية[1] :

---

(١) Royal Institute of Internsational Affairs : The Middle East, p. 1. (London 1950).

« إن الشرق الأوسط اصطلاح سياسى أكثر منه جغرافى ، وعم استعماله نتيجة إنشاء القيادة البريطانية للشرق الأوسط والمنظمات المدنية المماثلة خلال الحرب . وجرت القاعدة الجغرافية الدقيقة على التمييز بين الشرق الأدنى ويشمل اليونان وبلغاريا وتركيا والمشرق (الليفانت) ومصر . وبين الشرق الأوسط ويضم بلاد العرب وأرض الجزيرة وفارس وأفغانستان » . ثم يعود المصدر المشار اليه فيقول « إنه سيعالج الموضوع على أساس ان الشرق الأوسط بمعناه السياسى الحديث يشتمل على شبه الجزيرة العربية وقبرص ومصر والأردن والعراق وإيران ولبنان وسوريا وإسرائيل وفلسطين العربية والسودان وتركيا » .

ومهما يكن من امر فان هذا التحديد الواسع نستخلص منه اولا وقبل كل شىء أن اقليم الشرق الأوسط ، ونستطيع القول على ضوء الضرورات والاعتبارات الأستراتيجية والحديثة انه عبارة عن وحدة جغرافية ، لا تنتمى اليه البلاد الآتية :

١ — مراكش والجزائر وتونس .

٢ — افغانستان وباكستان .

وإذن ليست البلاد الاسلامية وحدة جغرافية لأكثر من سبب كما ان باكستان وإيران ليسا من الشرق الأوسط بخلاف ما اشار اليه وزير الخارجية الباكستانى فى مؤتمره الصحفى ، الذى سلفت الاشارة اليه .

القوة النسبية :

وحين نحاول أن نقدر مدى القوة النسبية للتكتلات الدولية ، يتعين علينا أن نتخذ طائفة من المقاييس منها عدد السكان ، والطاقة الاقتصادية ، وعناصر الوحدة الاقتصادية . وقبل أن نبحث الأمر من هذه الزاوية ننقل العبارات التالية من كتاب « السلام العالمى والاسلام » ، لأنها توضح إحدى حجج الداعين إلى الاتحاد أو الحلف أو التكتل الاسلامى :

« هذه الكتلة التى يُربى عددها على مائتين وخمسين مليونا من السكان والتى تملك أغنى منابع البترول والمواد الخامة ، والتى تتحكم بمواقعها الاستراتيجية فى مواصلات العالم . هذه الكتلة تملك أن يكون لها وزن ، حتى ولو كانت مجردة من السلاح ، وتملك أن تجعل كل كتلة من الكتلتين المتنازعتين تفكر مرتين قبل الاقدام على حرب ، تجتاح فيها هذه المناطق الشاسعة ، التى تقوم حاجزاً بين الكتلتين لا تلتقيان إلا باجتياحه ، وتفكر مرات قبل أن تظل مصرة على سياستها الاستعمارية الطاغية الباغية فى هذه الأرض المنكوبة بلعنة الاستعمار .

ومعنى هذا أن هذه الكتلة الاسلامية تصبح عنصر توازن بين الكتلتين الشرقية والغربية فتحول دون الحرب ، وبذلك تكون قوة

فعالة من أجل المحافظة على السلام والأمن الدولى . فهل هذا الأمر صحيح كما يبدو من ظاهره ؟ لا أحب أن أناقش عبارة الكاتب من حيث أن هذه الكتلة تملك أن يكون لها وزن ، حتى ولو كانت مجردة من السلاح ، . . . إذا أريد لكتلة أن يكون لها وزن ، أو أن تؤثر فى المجال الدولى ، وجب أن تكون مقاربة لاحدى الكتل الرئيسية . فهل هذا هو الواقع ؟ للاجابة عن السؤال نورد الملاحظات التالية :

أولا — لو رجعنا إلى الناحية العددية ألفينا أن عدد سكان العالم حوالى ٢٠٠٠ مليون نسمة ، وتشتمل كل من الكتلتين الرئيسيتين على حوالى ٧٠٠ مليون ، بينما البلاد الاسلامية لا يربو عدد سكانها على ٢٥٠ مليونا موزعين فى مناطق متباعدة .

ثانيا — ولكن العبرة ليست بعدد السكان وحده بقدر ماهى بالطاقة الانتاجية والخبرة الفنية والتفوق المالى . . . وفى خطاب للياقت على خان فى المؤتمر الذى أشرنا إليه نراه يصف حال البلاد الاسلامية فى هذه العبارات ذات الدلالة والمغزى .

« إن جميع البلاد الاسلامية تقريبا هى بلاد زراعية ، وإن أكثرية سكانها تعيش على الزراعة وعلى ما تنتجه من مواد أولية ، وكلها تصدر هذه المنتجات الزراعية وتستورد

المصنوعات . ومن النتائج المترتبة على ذلك أن مستوى معيشة هذه الشعوب أوطأ من مستوى المعيشة فى البلدان الصناعية » . والذى نعلمه أن هذه البلاد جميعا على جانب كبير من التخلف من ناحية الأخذ بأسباب الثورة الصناعية ، والصناعة وبخاصة الثقيلة ، وهى مصدر القوة والكفاية . وإذا حاولنا أن نتعرف أهم أسباب قوة « حلف الأطلنطى » مثلا لوجدنا أنها تنحصر فى كون كثير من البلاد الأعضاء دولا صناعية راقية ، كما ان على رأس تلك المنظمة الولايات المتحدة ، التى تعد الآن من اعظم وأغنى الدول الصناعية فى العالم .

ويقول الكاتب الفاضل صاحب « السلام العالمى والاسلام » إن البلاد الاسلامية تملك اغنى الموارد الخامة واغنى موارد البترول ، ولا ريب أن هذه العبارات فى حاجة إلى التوضيح ، إذ ليس هناك اخطر من إغفال الحقائق الجغرافية . فاذا استثنينا مادة الجوت Jute وتكاد تحتكر إنتاجها باكستان الشرقية ، والمطاط وتشترك فى إنتاجه إندونيسيا . فان بلاد هذه الكتلة تكاد تكفى نفسها بنفسها من الناحية الغذائية ، اما القطن فأعظم مراكز إنتاجه مصر . ولكن مقدار هذا الانتاج لا يتجاوز ٤ ٪ من الانتاج العالمى . فهو إذن يمثل نسبة ضئيلة إلى حد بعيد .

وفيما يتعلق بالبترول فاننا نعلم حقيقة ان إنتاج الشرق الأوسط

فى نهاية عام ١٩٥٠ وصل إلى ١٨,٣ ٪ من الانتاج العالمى ، وأن الاحتياطيات الثابتة proven reserves (أى التى ثبت وجودها) تعادل ٤٢ ٪ من الاحتياطى العالمى(١) . ولكن السؤال الذى يتعين أن يجاب عنه هو : من ذا الذى يتحكم فى الوقت الحاضر فى هذه الثروة من حيث انتاجها وتكريرها ونقلها وتسويقها ؟ إنه المصالح التى تنتمى إلى دول بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وفرنسا وهولنده ، كما تدل على ذلك الدراسة العابرة للشركات وتكوينها ، أما نصيب الحكومات المنتجة فيسير ، وهو — على الرغم من الزيادة التى طرأت عليه أخيراً فى حالة المملكة العربية السعودية والعراق والكويت — ما زال أقل منه فى حالة بلد مثل فنزويلا . . . أما من الناحية المالية التى لابد منها لتنفيذ مشروعات التقدم الاقتصادى والتنمية الاجتماعية فالمعروف أن البلاد الاسلامية جميعا تندرج فى عداد المناطق المتخلفة ، وهذا بالاضافة إلى ماتعانيه من نقص فى الخبرة الفنية وهى من الشروط الأولية لتحقيق التقدم عامة .

وليس من اليسير القول أن مجموعة البلدان الاسلامية تكون وحدة اقتصادية متكاملة لأنها تنتج مواد أولية متماثلة فى معظم أجزائها ، كما أن الصناعات القائمة أو التى يرجى لها أن تنشأ متشابهة ، واذن فهذه الاقطار متنافسة وليست متكاملة وذلك نتيجة التماثل فى الأوضاع الاقتصادية .

---

(١) Review of the Economic Conditions in the Middle East. « الذى أصدرته هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥١ »

الاختلافات الجنسية واللغوية :

وأكثر من هذا فإن البلاد الاسلامية تفتقر إلى عناصر أخرى من مكونات الوحدة ، فهى تتفاوت من حيث الجنس فأهل اندونيسيا يختلفون عن سكان باكستان ، وهؤلاء جميعاً يفترقون بصورة واضحة عن سكان البلاد العربية . ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل إن هناك الاختلافات التى ترتد إلى اللغة ، وأمامنا اللغات التى يتحدث بها أهل البلاد العربية وتركيا وايران وباكستان واندونيسيا ، ولا مراء أن وحدة اللسان عنصر له أثره فى نمو الوحـــدة الثقافية بين الدول والشعوب .

الوضع الدولى :

ننتقل الآن إلى معالجة الموضوع من زاوية أخرى ينبغى أن يكون لها خطرها ووزنها ، ونقصد بذلك مدى ما تستطيع كتلة من هذا القبيل أن تحققه من خير أو مصلحة لمختلف أعضائها ، وبصورة فردية أو جماعية . وواضح أن الهدف الأكبر الذى تسعى إليه الشعوب الاسلامية جاهدة ، هو أن يتحرر من السيطرة الأجنبية السياسية ما كان منها خاضعاً لها ، وأن تلتفى من بلادها جميعا كافة ألوان الاستغلال الاقتصادى الأجنبى الذى يخرج عن نطاق التعاون الدولى . إن العالم ينقسم إلى بلاد متخلفة وأخرى متقدمة من النواحى الاقتصادية

والاجتماعية وتستطيع الأولى أن تفيد من خبرة الثانية وثروتها وعلومها كيما تخرج من دائرة التخلف أو الركود ، ولكن على شريطة أن يكون التعاون بعيداً عن روح الاستغلال .

إن الكتلة المراد تكوينها تصبح غير ذات موضوع إذا لم تستطع أن تصل بالبلاد الاسلامية إلى هذه الغاية الرئيسية . فهل الأمر فى حيز الامكان وبعبارة أكثر تحديداً ، هل تستطيع مثل هذه الكتلة إذا ما تبلورت فكرتها فصارت جسما ذا كيان مادى، ان تتخذ سياسة عملية وواقعية تتفق وصالح العالم الاسلامى او أهدافه الحقيقية ؟ للاجابة على هذا السؤال نرى لزاما علينا ان نعرض فى ايجاز للوضع الدولى الذى نلقى عليه الأعضاء الذين ينتظر ان يضمهم هذا التنظيم الاسلامى الشامل .

١ — ان الجزائر جزء من فرنسا اى إحدى مقاطعاتها كما ينص على ذلك الدستور الفرنسى ، اما مراكش وتونس فخاضعتان للحماية الفرنسية التى فرضت عليهما فى ظروف سابقة وتحت ضغط القوة .

٢ — ليبيا الحديثة العهد بالاستقلال ما زالت امامها مشكلة التخلص من القوات والقواعد الأجنبية فى مناطقها الثلاث وهى برقه وطرابلس وفزان .

٣ — مصر والمملكة الأردنية الهاشمية والعراق بلاد معترف باستقلالها وسيادتها فى معاهدات عقدتها مع بريطانيا العظمى ، ولكن هذه المعاهدات تقيد سياسة هذه البلدان الثلاث الخارجية بحيث لا تتعارض مع أهداف السياسة البريطانية ، كما أنها تنص على إبقاء قواعد وقوات عسكرية بريطانية فى مناطق معينة وإن لم يكن لذلك صفة الاحتلال[١] .

٤ — أن معاهدة الظهران المعقودة بين المملكة العربية السعودية وحكومة الولايات المتحدة تنص على قاعدة جوية أمريكية وبها قوة عسكرية ، ويتمتع أفرادها بامتيازات وإعفاءات خاصة[٢] .

٥ — الإمارات والمشيخات العربية المتناثرة على ساحل الخليج الفارسى مقيدة بمعاهدات مع بريطانيا يرجع بعضها إلى القرن التاسع عشر ، وكلها تجعل منها مناطق خاضعة للدولة الأخيرة ، وفى البحرين ذاتها قاعدة بحرية وجوية بريطانية . وعلى الساحل الجنوبى من شبه الجزيرة العربية نلقى أمامنا مستعمرة عدن البريطانية ، فضلا عن المحميات الأخرى .

٦ — أصبحت تركيا من أعضاء منظمة شمال الأطلنطى ، وهى إحدى دول أربع سبق لها أن تقدمت إلى مصر بمذكرة تدور حول إنشاء قيادة متحالفة للدفاع عن إقليم الشرق الأوسط . وتركيا حين انحازت

---

(١) وهذا جوهر أو أساس الخلاف مع بريطانيا ، ولهذا يجمع المصريون جميعا على الجلاء .

(٢) جددت فى يونية من عام ١٩٥١ .

إلى منظمة شمال الأطلنطى إنما فعلت ذلك لضرورات واعتبارات وثيقة الصلة بمصالحها الاستراتيجية والاقتصادية والدولية ، غير أن الذى يعنينا من الأمر أنها مرتبطة بكتلة من دول لبعضها مصالح تحاول البلاد الإسلامية التخلص منها ، الأمر الذى يجعل موقف الدولة التركية عسيراً أو يشوبه التناقض إذا ما صارت عضواً فى الكتلة الاسلامية ، وتعارضت أهداف هذه الأخيرة مع مقتضيات سياسة منظمة الاطلنطى . وأكثر من هذا ، ماذا يكون موقف أعضاء الكتلة الإسلامية إذا كانت بينهم معاهدة للتعاون العسكرى المشترك ، وإذا ما اشتبكت تركيا فى حرب نتيجة كونها جزءا أساسيا من حلف الاطلنطى ؟ هذه كلها اعتبارات جديرة بالنظر والبحث والدراسة .

٧ — إندونسيا جزء من الإتحاد «الهولندى ـ الاندونيسى» فهناك ينبغى أن يتوافر الاتساق فى الاهداف والسياسة الخارجية للعضوين ، وأحدهما وهو هولنده جزء من منظمة الاطلنطى منذ تكوينها .

٨ — أما باكستان فهى جزء من « مجموعة الامم » البريطانية والتى يرتبط أعضاؤها المتساوون فى حقوق الاستقلال والسيادة ، برابطة التاج البريطانى . . حقيقة كل عضو من هؤلاء له الحرية فى السياسة الخارجية التى تتفق مع مصالحه كما حدث بالنسبة إلى انجلترا والهند مثلا حين اعرفتا بالصين الشيوعية ، وحين ابت الهند الاشتراك فى حرب كوريا ، ولكن الملاحظ أن لأعضاء المجموعة وجهات نظر متماثلة بالنسبة إلى الكثير من المشكلات الدولية .

هؤلاء هم اعضاء الكتلة الاسلامية المقترحة ، وهم اما بلاد مستعمرة او خاضعة لحماية اجنبية فعلا ، او بلاد مستقلة ولكن استقلالها محوط بقيود تحد منه فى ناحية أو أخرى ، او بلاد ذات صلة وثيقة ببلاد غير افريقية واسيوية وبينها وبين بعض اعضاء الكتلة الاسلامية خلافات جوهرية . ومن هنا يتضح ان الذين يعارضون الآن فى قيام كتلة من الدول الاسلامية يخشون ان تصبح عاجزة فعلا عن الاستقلال برأيها او الا تكون لها شخصية ذاتية فى الميدان الدولى . وفى الوقت نفسه يصعب تصور انضمام الجزائر وهى مقاطعة فرنسية ، ومراكش وتونس الخاضعتين للحماية فى تنظيم من هذا القبيل ، وكلها اقطار سلبية الارادة وحرية التصرف فى المسائل الخارجية او الدولية بصفة خاصة .

وأكثر من هذا فان هناك خلافات بين هذه البلاد الاسلامية ما زالت تتطلب التسوية والحل ، ومن ذلك الخلاف بين باكستان وافغانستان ، وبين سوريا وتركيا بشأن منطقة الاسكندرونة التى اقتطعتها فرنسا من جسم الدولة السورية مخالفة بذلك صك الانتداب .

موقف لبنان :

وثمت مسائل أخرى جديرة بالاعتبار والنظر حتى لا تخرج الفكرة وقد اشتملت على ثغرات وعناصر ضعف فى المستقبل . لقد قبل لبنان الاندراج فى سلك جامعة الدول العربية ذلك انها لا تقوم

على أى أساس دينى ولا تحمل طابعا أو اسما دينيا ، فهل ينتظر منه أن ينضم فى هذه الحالة إلى كتلة جوهر قيامها الوحدة فى التراث الدينى ، أم تراه يؤثر أن يظل بعيداً عنها ؟ من الطبيعى أن يقول البعض إنه بالرغم من الاسم أو التسمية فالتنظيم المقترح لن يسترشد بسياسة ذات طابع دينى وأن المبادىء الاسلامية ذاتها تنكر وتستنكر التعصب أيا كان مصدره ، وأن الدول الأعضاء ستظل حرة فى أعمالها وتصرفاتها . وهذا كله صحيح ، ولكن تبقى النواحى السيكولوجية إذ لها أعتبارها بالنسبة إلى مثل شعب لبنان .

مصير جامعة الدول العربية :

وناحية أخرى تستأهل البحث والتفكير ، ونقصد بذلك مركز جامعة الدول العربية ، إننا نسمع حديثا يجرى بامكان فتح بابها لانضمام دول أخرى فى إقليم الشرق الأوسط مثل تركيا وإيران أو باكستان ، ولكن عملا من هذا القبيل يتعارض مع روحها وميثاقها ، وليس فى هذا الميثاق نص يجيز مثل هذا الإنضمام كما هو الحال مثلا بالنسبة إلى المادة العاشرة من معاهدة شمال الأطلنطى التى تقول إنه « يجوز للأطراف متى اتفقوا بالاجماع ، أن يدعوا أية دولة أوربية ـ تكون فى مركز يجعلها تساعد على تعزيز مبادىء هذه المعاهدة والمحافظة على السلم فى إقليم شمال الأطلنطى ـ للاشتراك فى هذه المعاهدة » وقد يقول البعض كذلك إنه بالرغم من قيام « منظمة شمال الأطلنطى فهناك

تنظيمات ذات طابع محلى أو اقليمى ، مثل معاهدة بروكسل المعقودة فى ١٧ مارس سنة ١٩٤٨ بين بلجيكا وفرنسا ولكسمبورج والاراضى الواطئة والمملكة المتحدة وهى معاهدة التعاون الاقتصادى والإجتماعى والثقافى ، والدفاع الجماعى عن النفس ، كما أن هناك تعاونا على أساس « الدفاع المتبادل عن النفس بين البلاد الأمريكية وتنظمه معاهدات آخرها معاهدة ريودى جانيرو الموقعة فى ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٧ (١) . ومن الطبيعى أن تكون لهذه الملاحظات أهميتها . إلا أنه من المحقق أن جامعة الدول العربية ستتضاءل أهميتها بصفتها منظمة إقليمية ، وهو ما نلقاه بالنسبة إلى التكتلات أو التنظيمات المختلفة التى تضم بعضا أو آخر من أعضاء حلف شمال الأطلنطى .

صعوبة السياسة الحيادية :

ونحن نقدر الأمل الذى يختلج فى نفوس الداعين إلى التكتل الاسلامى ليكون وسيلة لحفظ التوازن الدولى ، والمحافظة على السلام والأمن فى العالم ، ورعاية المصالح الحقيقية للشعوب الاسلامية . ولكننا فى الوقت نفسه ، نتساءل عما إذا كان مثل هذا التنظيم ينطوى على

---

(١) لم تشترك فى التوقيع دول أكوادور (أمريكا الجنوبية) ونيكاراجوا (أمريكا الوسطى) وكندا (أمريكا الشمالية) ويرجع موقف الأخيرة إلى أنها أعتبرت عضويتها فى « مجموعة الأمم » « البريطانية وهيئة الأمم » قد حققت حاجتها ومطالبها الدفاعية فضلا من أطمئنانها بسبب هيئة الدفاع المشترك الدائمة .. التى تضمها مع الولايات المتحدة .

الامكانيات الكافية لتحقيق هـــذه الغايات ، ونقصد بالامكانيات الأوضاع الدولية والاقتصادية والحربية فى مختلف البلاد الاسلامية . وهل تستطيع هذه البلدان مثلا ، أن تسير على سياسة دولية حيادية أو ذات كيان ذاتى مستقل ، إذا كان هذا الأمر متفقا مع أو منبعثا من مصالح أهلها ؟ لقد تناولنا بالتحليل الموجز الوضع السياسى فى الأسرة الدولية بالنسبة إلى هذه البلدان ومنه نعرف أنها تنقسم إلى مجموعات ثلاث . ـ

١ — مستعمرات ومحميات خاضعة للسيطرة البريطانية أوالفرنسية.

٢ — دول اعترف لها بالاستقلال والسيادة ولكن تقيم فى أراضيها قوات بريطانية ، كما أنها مقيدة بمقتضى المعاهدات ألا تسير على سياسة خارجية تتعارض وهذه المعاهدات أو تسبب الضرر للأهداف البريطانية فى المجال الدولى .

٣ — وبلاد مثل الباكستان واندونيسيا مرتبطة بدول أوربية . فهذه البلدان ، أو أغلبيتها الساحقة ، بحكم تكوينها ومعاهداتها ، مرتبطة بإحدى الكتلتين الدوليتين مما يجعل اتخاذ سياسة خارجية مستقلة بالمعنى الصحيح أمراً غير ميسور ، وإذن لا يستطيع التكتل الاسلامى أن يكون أداة توازن صحيح .

ولكن هناك أمراً آخر أعظم أهمية وخطورة . لنفرض أن الكتلة المقترحة قد تكونت فعلا ، وأن أعضاءها قرروا ، لتنسيق

سياستهم، عقدمعاهدة للدفاع المشترك على غرار ما فعلت دول الجامعة العربية ، فمن أين مصدر الطاقة العسكرية وهى على هذا الضعف من الناحية الصناعية . أنها فى مثل هذه الحالة مضطرة إلى الاتجاه صوب الدول الصناعية الكبرى سواء أكانت تنتمى إلى الكتلة الغربية أم كانت من اعضاء الكتلة السوفيتية ، ولا مراء ان كلا من الطرفين سيستخدم ميزته للحصول على مغانم سياسية ، فلا يقدم السلاح والعتاد المطلوبين إلا إذا تقاضى الثمن وهو السير فى فلكه فى خضم السياسة الدولية . ولسنا نذهب بعيداً فى الافتراض والأمثلة الحية قائمة أمام انظارنا ، فقد سبق لمصر أن اتفقت على شراء مقادير من السلاح من بريطانيا ولم تحصل عليها تماما بالرغم من استعدادها لدفع الثمن . ومن قبل ذلك ، خلال الحرب « العربية — الاسرائيلية » لم يستطع العرب الحصول على السلاح اللازم ، بينما تيسر ذلك فى حالة اسرائيل . وهنا نفترض وقوع نزاع بين الكتلة الاسلامية واسرائيل ، فهل تقدم الدول الكبرى السلاح إلى الطرف الأول — كى يتمكن من سحق الدولة الاسرائيلية ؟

وفى حالة نزاع بين بلد اسلامى ودولة غربية كبرى : هل يستطيع اعضاء الكتلة الاسلامية الباقون ، بوضعهم الراهن ، أن يقفوا إلى جانبه موقفا موحداً . والتاريخ القريب ينطوى على الاجابة اللازمة .

فالدول الأعضاء فى الجامعة العربية لم تعلن صراحة وعلانية

رفضها لمشروع الدفاع عن الشرق الاوسط تأييداً لمصر ، ولم يعترف بعضها بلقب « ملك مصر والسودان » بعد ، وخلال الحرب الفلسطينية لم تحاول دول الجامعة ان تتحمل اعباء متكافئة مع حماسها ومواردها وتعهداتها ، وحينما بدأت اللجنة السياسية ، خلال دور الانعقاد السادس للجمعية العامة التابعة لهيئة الأمم ، مناقشة مسألة انضمام ليبيا إلى المنظمة العالمية تقدمت مصر بمشروع قرار بشأن جلاء القوات والقواعد الأجنبية عن ذلك القطر العربي قبل أن يقوم بعقد معاهدات دولية ، فلم يفز الاقتراح بالأغلبية ، ولكن الأهم من هذا أن ـ الدول العربية لم تؤيد مصر تأييداً تاما وشاملا فى موقفها هذا ، مع أن قراراً من هذا القبيل يخدم القضايا القومية لهذه الدول جميعاً ، أو على الأقل تلك التى ما زال استقلالها وسيادتها مقيدين .

حقيقة التنظيم المقترح :

نصل الآن إلى سؤال ينبغى ان يستأثر بالجانب الأوفر من اهتمامنا. فلماذا نشطت الدعوة إلى التكتل الاسلامى ، واتخذت طابعا رسميا وشبه رسمى ، وزادت الاتصالات بشأنها ، وفى هذه الآونة بالذات أى فى الفترة التى أعقبت الإلغاء المصرى لمعاهدة ١٩٣٦ ورفض مقترحات الدول الأربع ، فى اكتوبر من سنة ١٩٥١ ؟

وقبل ان نجيب عن السؤال او نحاول ذلك . نضع الحقائق والبيانات التالية امام الأنظار : —

١ — كان من المقرر ان تجتمع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، بمدينة القاهرة لتقرر خطة موحدة تابيدا لمصر فى الإلغاء والرفض ، وإذا بالاجتماع يؤجل ويتحول إلى باريس ، بحجة اقتراب موعد بدء الدور السادس للجمعية العامة التابعة لهيئة الأمم وتوالت الاجتماعات بين الوفود العربية بالعاصمة الفرنسية ، ولكنها لم تسفر عن بلاغ او بيان شامل يوضح ماتم الاتفاق عليه ، ويضع حدا للتكهنات الكثيرة التى تناثرت .

٢ — وردت الأنباء عن وساطة باكستانية تهدف إلى التوفيق بين مطالب مصر والسودان القومية وبين اعتبارات الدفاع عن الشرق الأوسط .

٣ — تحدثت الصحف عن مقترحات لدولة نورى السعيد باشا ، رئيس الوزراء العراقى ذاتها وعلى ضوء مبدأ الوساطة الباكستانية ، ونشرت صورة لتلك المقترحات .

٤ — حضر السيد ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان إلى القاهرة وأدلى بالتصريحات التى اوردناها ، وتحدث بصراحة عن الوحدة الاسلامية والأهداف والخطوات اللازمة للتحقيق ، وذلك بعد ان استطلع وجهات النظر فى عواصم دول اسلامية ثلاث أخرى .

٥ — جاء معالى فاضل الجمالى ، الوزير العراقى ، إلى مصر قبيل موعد الاجتماع العادى لمجلس جامعة الدول العربية ، وترامت الأنباء عن مقترحات تهدف إلى توسيع نطاق جامعة الدول العربية او معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين اعضائها (١) بقصد ضم دول اسلامية اخرى مجاورة .

٦ — بدأ اجتماع المؤتمر الاسلامى فى مدينة كراتشى عاصمة الباكستان وبالرغم من كونه هيئة غير رسمية فان اهدافه من حيث تأليف اتحاد من الدول الاسلامية واضحة(٢) .

٧ — كان الجميع يعلقون اهتماما كبيراً على دور الانعقاد العادى لمجلس جامعة الدول العربية ، نظراً لكثرة وضخامة المشكلات مثل قضايا مصر وتونس ومراكش ، وشكلت حكومة مصر وفداً قويا على رأسه رئيس مجلس الوزراء ، فإذا بالإجتماع يصبح صوريا فيقف عند جلسة الافتتاح ، وقيل ان الدورة تعد قائمة للنظر فى اى مشكلة تجد ، كأنما لا توجد فعلا مشكلات تتطلب الدراسة واتخاذ سياسة موحدة ازائها .

---

(١) راجع نصوص الوثيقتين فى كتابنا (مجموعة الوثائق السياسية) الجزء الأول (المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس) ، ص ١٩٥ — ٢٠٧ .

(٢) راجع ص ٢٥—٢٦ من هذا البحث .

٨ — أعلن وزير خارجية الباكستان فى البرلمان أن حكومات اسلامية سبعا قد قبلت الدعوة للاشتراك فى المؤتمر الذى اقترحته باكستان(١)، لاقامة نظام لتبادل العلاقات بين الدول الاسلامية، وهذا يتفق مع ما أدلى به فى مؤتمره الصحفى بالقاهرة بشأن نظام استشارى للنظر فى المسائل التى تهم البلاد الاسلامية جميعاً .

فما معنى هذا كله ، وما الهدف الحقيقى الكامن وبخاصة فى الآونة الحالية بالذات ؟

فى عام ١٩٥١ صدر كتاب بالانجليزية بعنوان « منابع القوة » Wells of Power لمؤلف اسمه أولاف كارو Olaf Caroe ، عالج فيه موضوع الثروة البترولية فى منطقة الخليج الفارسى ، وهى الثروة التى تسيطر عليها دول الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وهولنده ، ثم أوضح أن حماية هذه المنابع يتصل بأمن هذه الدول . ولما كانت الحماية المطلوبة يجب أن تشمل المصافى المتناثرة فى منطقة الخليج وعلى ساحل البحر المتوسط الشرقى ، وكذلك أنابيب البترول الخارجة من كركوك بالعراق ومن أبقيق بالمملكة العربية السعودية ، إلى الساحل ذاته ، فإن هذه الاعتبارات كلها تقتضى إقامة نظام دفاعى شامل تحت اشراف الدول الأربع أو على اتصال وثيق بها ، ويضم البلاد العربية وإيران ويجب أن تندرج فى سلكه باكستان كذلك .

---

(١) أنظر ص ٣٤

ولما عقدت معاهدة شمال الأطلنطى (١٩٤٩) أخذ الحديث يتردد عن اكماله بانشاء نظام مماثل لحوض البحر المتوسط، كما جرى بحث الكتاب والساسة حول إقامة تنظيم دفاعى لإقليم الشرق الأوسط بمعناه السياسى الواسع، وفى الوقت نفسه وافقت دول حلف الأطلنطى مجتمعة، على انضمام اليونان وتركيا.

ولما قامت مصر فى أعقاب الحرب العالمية الثانية تطالب بالجلاء عن أراضيها تحدث الساسة الانجليز عن ضرورة سد الفراغ، وأصروا على مبدأ الدفاع المشترك كما تدل على ذلك نصوص مشروع «اتفاق صدقى — بيفن» فى حالة مصر ومعاهدة «برتسموث» بالنسبة إلى العراق. ولما أقدمت مصر على الغاء المعاهدة سارعت الدول الأربع (بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا) إلى تقديم مقترحات إلى مصر بشأن انشاء «قيادة متحالفة للدفاع عن الشرق الأوسط» وأرفقتها بمذكرة تفسيرية إلى الدول العربية الأخرى وإسرائيل(١). غير أن الفكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ بسبب رفض مصر وموقف البلاد العربية الأخرى، فكان ذلك صدمة للدول صاحبات الشأن.

وحدثت الوساطات من جانب الباكستان والمملكة العربية السعودية والعراق، وكلها تهدف إلى مخرج فيه إجابة لمطالب مصر

---

(١) راجع كتابنا «مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط» وفيه نص المقترحات والمذكرة.

القومية ، مع مراعاة الاعتبارات الدفاعية العامة ولكنها لم تصل إلى نتيجة . وهنا حضر السيد ظفر الله خان وأخذ يتحدث فى مؤتمره الصحفى عن الوحدة الاسلامية وأهدافها والخطوات العملية لتنفيذها، وعن ضرورة وضع نظام استشارى يمثل البلاد الاسلامية . وسرعان ما انتقل فجأة إلى ناحية لها دلالتها وبخاصة بالنسبة إلى الملابسات والظروف القائمة ، فقال « إن مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط لايمكن أن يكون كاملا إلا إذا انضمت البلاد الواقعة شرق المنطقة» ، بحيث تدخل فى نطاقه باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا والدول العربية ، ولا بد من تسوية الخلاف بين العرب وإسرائيل قبل تنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط » .

ويلاحظ أنه لم يشر إلى إندونيسيا والبلدان العربية الواقعة فى شمال إفريقية إلى الغرب من وادى النيل ، بالرغم من حديثه عن الوحدة الاسلامية والنظام الاستشارى للبلدان الاسلامية ، وإذن استخلص الكثيرون من المراقبين أن الغرض من الحديث الآن عن « الوحدة الاسلامية » ليس إلا محاولة لإقامة النظام الدفاعى الذى طالب به أودعا إليه أولاف كارو ، والذى تسعى إلى تحقيقه الدول الغربية الأربع .

ولنفرض أن هذا النظام الدفاعى قد تبلور فصار حقيقة مادية قائمة ، فكيف يكون مآله ؟ إن باكستان جزء من مجموعة الأمم « البريطانية » ، والعراق والمملكة الأردنية الهاشمية تربطهما معاهدات ببريطانيا وفى أراضيهما ، بصورة جزئية أو كلية ، قواعد بريطانية ،

وتركيا عضو فى حلف الأطلنطى ، ومعاهدة الظهران قائمة بين المملكة السعودية والولايات المتحدة . والنتيجة التى نستخلصها من هذا كله أن النظام الدفاعى الذى يمتد من باكستان شرقا إلى ليبيا غربا ، سيكون تابعا لمجموعة من دول منها اثنتان وهما بريطانيا وفرنسا تحتلان أو تستعمران عدداً من البلاد الاسلامية .

من الكسب :

وإذن من ذا الذى يجنى الكسب من وراء كتلة اسلامية على هذا النحو ؟ الجواب واضح ، إنه بريطانيا أولا لأنها ستصرف بذلك العرب عن مشكلاتهم الحقيقية من حيث الرغبة فى التخلص من سيطرتها .

وقد أصبحت القاهرة مركز الحركات والدعوات التحريرية بالعالم العربى ، وهى حركات تلقى التأييد من جانب مصر ، شعبا وحكومة ، إلا أنه فى حالة قيام كتلة اسلامية من هذا القبيل ينتقل مركز الثقل إلى كراتشى عاصمة باكستان ، وليس بين هـــذا البلد وبريطانيا مشكلة جوهرية تتصل بمطلب قومى للبلاد . والباكستان لا ريب كاسبة ، ذلك أن تكتل الرأى العام الإسلامى إلى جانبها يكسبها تأييداً ويدعم مركزها ازاء الهند التى يبلغ عدد سكانها حوالى ٣٠٠ مليون نسمة ، والتى تعد ثامن دولة صناعية بالعالم ، والتى تشطر

أراضيها باكستان إلى قسمين أحدهما فى الغرب والآخر فى الشرق وبينهما مسافة طولها ألف ميل .

ومن الخاسر :

ومن ذا الذى يصاب بالخسارة فى ظل كتلة تقوم على الأوضاع الراهنة ؟ إنها الشعوب الاسلامية التى ستنصرف عن مشكلاتها الأساسية والحيوية إلى الخلافات التى تنشأ حتما بين دول هذه الكتلة كما يدل على ذلك تاريخ جامعة الدول العربية منذ قيامها . وأكثر من هذا فقد صار واضحا جليا أن الغاية الحقيقية من وراء كل هذه الجهود السافرة والمستترة هى إقامة ذلك التنظيم الدفاعى على نطاق أوسع ، وهنا يحدثنا السيد ظفر الله خان فى مؤتمره الصحفى الذى سلفت الإشارة اليه بأنه « لا بد من تسوية الخلاف بين العرب وإسرائيل قبل تنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط » . وإذن فبالرغم من التضحيات التى تحملها العرب ، وبالرغم من الدعايات بشأن موقف بعض الدول العدائى من اسرائيل فان كثيرين من الساسة يؤمنون فى قرارة نفوسهم أن الاعتبارات أو الضرورات السياسية تحتم تسوية النزاع « العربى — الاسرائيلى » واعتراف العرب باسرائيل ، ثم ضم الدولة الأخيرة إلى الحلف الدفاعى الإسلامى .

وعلاوة على ذلك فإن الهند تمثل اليوم إحدى الدول الكبرى ولها وزنها فى الميدان الدولى ، ويعمل لها الأقوياء حسابا كبيراً ، وهى

قد لعبت دوراً خطيراً وصريحا ومتزنا فى مختلف المشكلات الناشبة بين الحرية والاستعمار. ويذكر لها التاريخ القومى موقفها حين نظمت مؤتمر نيودلهى الذى كان له أثر واضح فى نجاح القضية الأندونيسية، وهى التى أعلنت ومازالت تعلن أنها تسير فى سياستها الخارجية مسترشدة بأهدافها فلا تميل ذات اليمين أو ذات اليسار إلا بقدر ما يتفق ذلك مع التعاون الدولى ومصالحها الحيوية. وهى التى تأبى أن تنساق وراء أى من الطرفين فى أهدافه ومغامراته، كما أنها تقف على رأس الكتلة غير الرسمية لمناهضة الاستعمار، وهى أخيراً - وليس آخراً - التى بالرغم من بقائها فى نطاق الكومنولث ابت الاعتراف بعلاقة التاج البريطانى بين أعضاء المجموعة. ومن المرجح أن هذا التكتل الإسلامى سيفقد البلاد العربية عطف الهند التى لا بد وأن تنظر اليه على أنه تأييد لباكستان يمكن استغلاله فى الخلافات بين هذين البلدين فى شبه القارة. ومصر التى التزمت إزاء هذه الخلافات موقف الحياد الدقيق يعنيها من وجهة مصالحها الكبرى — أن تظل دائما على علاقات طيبة مع الدولة الهندية.

وقد شهدت المدة الأخيرة ماصار يعرف باسم «الكتلة العربية — الآسيوية»، وهذه قد لعبت أدواراً تاريخية لها خطرها، فقد حاولت أكثر من مرة فض النزاع الناشب فى كوريا وبدا تعاونها فى كثير من المسائل خلال دور الانعقاد السادس للجمعية العامة، وأخيراً فانها أثارت مشكلة تونس ورأت ضرورة عرضها على مجلس الأمن على

أساس أن استمرارها فيه تهديد للسلام والأمن الدولى. وهذه الكتلة ليست ذات صفة رسمية ، وليست تنظيما يقوم على أساس اتفاقات أو معاهدات ، ولكنها لون من ألوان التفاهم المشترك بصدد المسائل الكبرى التى تمس قضايا التحرير ومصالح أعضاء الكتلة والسلام العالمى، وأنها لتعيد إلى الذاكرة (نظام التفاهم) Concert Sytem (١) الذى عرفه التاريخ فى القرن التاسع عشر والذى استطاع أن يكون أداة لها أثرها فى المحافظة على السلام ومنع نشوب حرب عامة خلال فترة طويلة . فهذه « الكتلة العربية — الآسيوية » لا تقوم على أساس عنصرى أوقومى أودينى ، ولكنها مهددة بانفراط عقدها إذاماتكون اليوم وفى ظل الأوضاع الراهنة ، هذا الاتحاد أو التكتل الاسلامى ، وذلك أن الهند هى أقوى أفراد هذه الكتلة العربية الآسيوية . وما من شك أن الخاسر فى هذا كله هو الشعوب الاسلامية ذاتها التى مازالت قضاياها القومية معلقة ومازالت تكافح من أجل حلها .

(١) راجع ما كتبناه عن هـذا النظام فى كتابنا « الطريق إلى السلام » ص ٦٧ وما بعدها (الفصل السادس) .

(٣)

كلمة حق وتحذير

هذه هى المخاوف التى تساور بعض المراقبين من جراء اشتداد الدعوة إلى قيام نوع من التحالف الاسلامى اليوم . وفى هذا تقول مجلة «المسلمون» (١) «. . . . لهذا فقد استرحنا كثيرا حين صرح السيد فاضل الجمالى فى القاهرة بأن قيام اللجنة الاستشارية (٢) بين الحكومات الاسلامية ليس معناه أى تكتل اسلامى أو جامعة اسلامية ، استرحنا رغم شوقنا الشديد إلى أن نرى المسلمين مجتمعى الشمل ، وسبب هذه الراحة اشفاقنا على فكرة الجامعة الاسلامية كما يفهمها الغيورون على دين الله والعارفون بشريعته أن تتأثر بمحاولة قد تبلغ فى الاخلاص المدى ، ولكنها لا تملك من الوسائل ولا من الظروف المحيطة ما يجعل فى قدرتها تحقيق هذا الأمل الجميل . ويتلخص ذلك عندنا فى أمور ثلاثة : —

. . . . (والثانى) التأثير الأجنبى : — وهو التهمة التى تتهم بها أكثر محاولات تجميع شمل المسلمين اليوم وهى تهمة تحيك فى أنفس كثيرين حين يرون أن خطر الشيوعية هو الذى يشغل الكتلة الغربية

---

(١) مجلة « المسلمون » العدد الخامس ٢ السنة الأولى ص ٢٠٢ .

(٢) التى أشار إليها وزير خارجية الباكستان فى مؤتمره الصحفى بالقاهرة .

كل مشغلة . وحين يقال إن هذه الكتلة تريد استغلال الاسلام . . . ومعنى ذلك أنها حركة لحسابها لا لحساب الاسلام والمسلمين . هؤلاء قد لا ينكرون وجوب الاستفادة من ظروف العالم السياسية ، ولكنهم يترددون كثيرا فى الاطمئنان إلى أن واقع الدول المختلفة السياسى يمكن أن تتحقق معه هذه الاستفادة (١) .

الشرط الجوهرى :

إن الكثيرين ممن يعارضون الآن فى قيام هذه الكتلة الاسلامية ، لا يفعلون ذلك عن معارضة لفكرة أو مبدأ ، ولكنهم يريدونها وليدة الظروف المناسبة ، التى تجعل منها قوة لها وزنها وأداة للصالح العام . إن جامعة الدول العربية تمثل فكرة نبيلة ولكنها ولدت سابقة لأوانها ، لأن الأصل فيها أن تكون رابطة بين دول حرة ومستقلة . إن النقائص التى ترد إلى الجامعة العربية ليست هى السبب فيها ، ولكنها انعكاس للعيوب الكامنة فى الدول الأعضاء .

---

(١) لهذا النص دلالته الواضحة ، فرئيس تحرير هذه المجلة الأستاذ سعيد رمضان من المؤمنين فعلا بفكرة الجامعة الاسلامية . ولكنه يريدها فكرة خالصة لصالح الشعوب الاسلامية ، ولهذا أخذت تساوره المخاوف من الاتصالات الأخيرة خشية أن تنحرف بالفكرة إلى غير وجهتها السليمة ، وهو إذن يتفق مع رأينا أو خوفنا من أن تكون الجهود المبذولة محاولة لاستغلال فكرة أو عاطفة لتنفيذ مآرب تتعارض فى الأجل الطويل مع الجوهر الأصلى .

وينطبق هذا الأمر على الكتلة الاسلامية المقترحة فانها تصبح عنصر ضعف إذا تكونت من أمم متأخرة وغير مستقلة جميعا ، وفى هذا يقول المغفور له لياقت على خان « وكثيرا ما أكد القائد الأعظم فى خطبه أن على المسلمين بعد تحقيق حرياتهم فى مختلف الدول الاسلامية أن يوحدوا صفوفهم » ، وإذن فالشرط الأول أن تتحرر البلاد الاسلامية تماما ، فاذا ما بلغت هذه الغاية صار توحيدها أو تعاونها بعبارة أصح ، أمراً مجديا وعمليا .

ياقوم إنى لكم نذير

وبعد ، فهل نحن نعارض فكرة التنظيم الاسلامى المشترك ؟ الجواب بالنفى على وجه التحديد ، لأن هذا مظهر للتعاون بين الشعوب ، الذى هو دعامة يقوم عليها صرح الاستقرار والأمن والسلام فى العالم ، ولكنا نرى أن أى تنظيم مشترك ، يوثق الصلات بين أطرافه وأعضائه ، ينبغى أن يستمد كيانه من الظروف الصالحة ، وأن يهدف أولا وقبل كل شىء إلى خيرهم ورفاهيتهم .

إننا نؤيد ، بل ندعو إلى التعاون السليم بين مختلف البلاد الاسلامية ، كوسيلة للنهوض بأحوالها الاقتصادية والاجتماعية ، وكأداة لتحريرها مما تتعرض له من ألوان الضغط أو السيطرة من الدول العظمى ذات الأطماع . فلتتعاون الأحزاب والجماعات السياسية القومية فى مختلف هذه البلدان لكى تخلق رأيا عاما سليما ، ولتعقد هذه الهيئات المؤتمرات من أجل هذه الغاية بشرط أن تحددها تحديدا واضحا وأن تبين أساليب العمل . ولتتفق البلاد الاسلامية على التبادل التجارى وما إليه لما فيه نفعها . وليتم تبادل أساتذة وطلاب الجامعات والمعاهد العلمية ، والمؤلفات فى شتى العلوم والفنون .

ولكنا لا نؤمن فى ظل الأوضاع الراهنة بتكتل أو حلف بين دول أو حكومات ما زال أغلبها غير حر تماما فى تصرفاته الخارجية ، وغير متحرر تماما من شتى القيود السافرة وغير السافرة على استقلاله وسيادته .

إن دعاة فكرة التكتل الاسلامى الأولين بكل ما تدل عليه هذه الألفاظ من معان ، أرادوه حقيقة لا وهما ، وجسما حيا لا شبحا أو ظلا ، ولن يكون الجسم سليما إلا إذا خلت الأجزاء المكونة له من النقائص والعاهات والأمراض . إنهم لم يكونوا أقل فهما للإسلام وتعاليمه ومصالح الشعوب الاسلامية من هذه الأبواق التى تظن ذلك الفهم وقفا عليها واحتكارا لها .

لقد دعوا إلى فكرة وأشاروا إلى مقومات ابرازها الأصلية ولم تدفعهم أية عاطفة إلى الانسياق وراء أوهام ، وما كان ليخطر ببالهم — وهم أنصار التحرر — أن يعملوا من أجل تنظيم سيكون أداة تهزم الغرض الأصلى منه .

إن الأخوة بين البلاد الاسلامية هدف محمود ، ولكن الصورة التى يراد بها اليوم أن تتحقق كفيلة أن تنحرف بها عن مجراها الطبيعى الحق . إنها غاية طيبة ، ولكن أكبر الخوف أن يتمكن الذين يكمنون وراء هذه الصورة من أن يخدعوا المخلصين والبسطاء باستغلال

حماسهم وعواطفهم لادراك مآرب أبعد ماتكون عن خدمة الشعوب الاسلامية ، إن لم تكن أدنى إلى التعارض مع مصالحها .

إن هذا الحلف أو النظام الاستشارى الواسع الاختصاص والذى يتستر تحت غطاء فكرة الجامعة الاسلامية أو التكتل الاسلامى ، إنما هو كلمة حق يراد بها باطل . . . إن هدفنا أن نحذر الشعوب الاسلامية من الوقوع فى شراك تنصبها لها أيدى خفية ، مستغلة إخلاص البعض وحماس فريق آخر وجهل جماعة ثالثة .

« يا قوم إنى لكم نذير مبين » ، ولقد بلغت فاللهم أشهد ، وستكشف الأيام القادمة أينا أهدى سبيلا وأكثر فهما وإدراكا . إن لم تتحرك العناصر الرشيدة لإزاحة الستار عن الدسائس وتنوير الأذهان ، وإن غدا لناظره قريب .

أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، احذروا البعض من الساسة والقادة وقد يكونون مخدوعين ، من أن يستغلوا حرصكم على التعاون أو التكتل أو الاتحاد الاسلامى ، فاذا بكم بين عشية وضحاها أمام « حلف دفاعى للشرق الأوسط » يمتد من باكستان شرقا إلى ليبيا وما وراءها غربا وهو ما أقمنا عليه أكثر من دليل نضعه تحت الأنظار ونقدمه إلى العقول التى تفكر .

إن العاقل من اتعظ بغيره . . . لقد هلل الجميع حين قامت جامعة الدول العربية ، ووقفت قلة تبدى الشك فى امكانيات هذه المنظمة

لأنها لم تستكمل عناصر القوة الحقيقية ، إذ تكونت من أعضاء لم يحققوا حرياتهم كاملة ، ودارت السنوات وعلت كلمة المتشككين وثبت صدق ظنهم وبعد نظرهم ... فهل يراد أن تتكرر التجربة ؟ .

فلنؤمن جميعا بأن الكتلة الاسلامية ضرورة ، ولكن علينا ، أولا وقبل كل شيء أن نتدبر قول المغفور له السيد محمد على جنه ، الباعث الأكبر لدولة باكستان ومن أشد أنصار الوحدة قوة . . .

« إن على المسلمين بعد تحقيق حرياتهم فى مختلف الدول الاسلامية أن يوحدوا صفوفهم » . ومعنى هذا ، أيها المسلمون :

الحرية أولا

والوحدة ثانيا

وحاشا للزعيم الراحل أن يكون أقل فهما للإسلام ومصالح المسلمين ، من هذه الأبواق . . ، السليمة النية ، إن صح التعبير .

إن قيام الوحدة قبل تحقيق الحرية معناه أن يشد طوق واحد ، غير إسلامى ، حول رقاب الشعوب الاسلامية .

وإنى لأقدم هذا إلى المخلصين الواعين ، أما غيرهم ، فانك لن تهدى من أحببت » . « ولن يسمع الصم النداء » .

المحتويات

صفحة

الإهداء

تقديم ٧ - ٨

(١)

العرض التاريخى ٩ - ٣٧

طريقة البحث ٩ - الأديان الكبرى ١١ - عصر الخلافة الاسلامية ١٣ - الدعوة إلى الجامعة الاسلامية ١٤ - ظهور الباكستان ٢١ - المؤتمرات الاقتصادية الاسلامية ٢٢ - مؤتمر العالم الاسلامى ٢٥ - تصريحات ظفر الله خان فى القاهرة ٢٨ - دعوة إلى مؤتمر ٣٤ - الدعاية غير الرسمية ٣٥.

(٢)

التحليل والتفسير ٣٨ - ٦٢

هل وحدة جغرافية ٣٨ - الاختلافات الجنسية واللغوية ٤٤ - الوضع الدولى ٤٤ - موقف لبنان ٤٨ - مصير جامعة الدول العربية ٤٩ - صعوبة السياسة الحيادية ٥٠ - حقيقة التنظيم المقترح ٥٣ - من الكاسب ٥٩ - ومن الخاسر ٦٠

(٣)

	صفحة
كلمة عن وتحذير	٦٣-٦٥
الشرط الجوهرى ٦٤	٦٣-٦٥
ياقوم انى لكم نذير	٦٦-٦٩

مطبعة السعادة بمصر

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00296924

297.09
B26kA